مناوَشات بَريئة

قضايا وطَنيّة

مقالات على ضفاف الاعلام والثقافة

بقلم : الطاهر اعمارة الأدغم

مَنَاوَشَاتٌ بَرِيئَة

قَضَايَا وَطَنِيّة

مَقَالَاتٌ عَلَى ضِفَافِ الإِعْلَامِ وَالثَّقَافَة

بِقَلَم: الطّاهِر اعْمَارَة الأَدْغَم

عنوان الكتاب : مقالات على ضفاف الاعلام والثقافة

الطبعة : الأولى جويلية 2025م/ محرم 1447 هـ

المؤلف : الطاهر اعمارة الأدغم

الحجم : 15x21 Cm

عدد الصفحات : 182

الإيداع القانوني : جويلية 2025

ردمك : 978-9969-608-02-1

التنفيذ الطباعي :

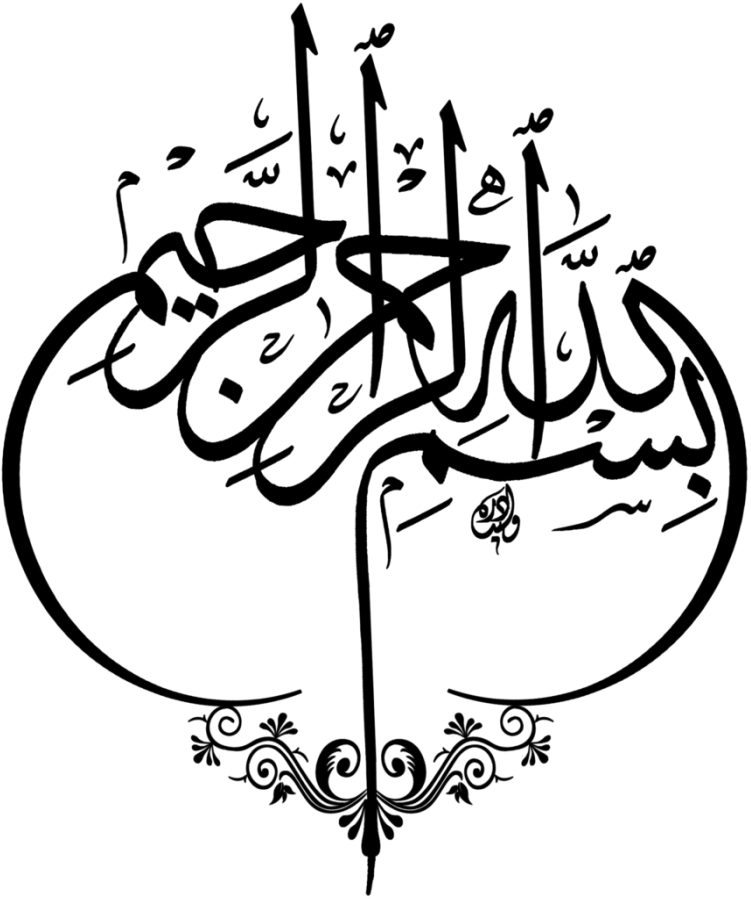
بسم الله الرحمن الرحيم

إِهْدَاء

إِلَى زُمَلَاءِ وَأَصْدِقَاءِ الصَّحَافَةِ وَالإِعْلَام

إِلَى شُهَدَاءِ الْكَلِمَةِ الرِّسَالِيَّةِ وَالْهَادِفَةِ وَالْوَاعِيَّةِ وَالْجَرِيئَة
فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ... وَمِنْ كُلِّ عِرْقٍ وَلَوْنٍ وَطَيْف..

مُقَدِّمَة

في صفحاتِ هذا الكتاب مقالاتٌ صحفيّةٌ نتوزّعُ على مَيْدَانَيْنِ مُهِمَّيْنِ هُمَا:

الإعلامُ والثّقافة..

وإذا كان الإعلامُ أشهرَ من أن يُحدّدَ أو يُعرّفَ، فإنّ مصطلحَ الثّقافةِ مُتَعَدِّدُ المفاهيم، ومن ثمّ وَجَبَ التّأكيدُ على أنّ المقصودَ في سياقِ هذه المقالاتِ هو خلاصةُ أحاديثِ المفكّرِ الجزائريّ الرّاحلِ مَالِكْ بِنْ نَبِي، رحمه الله، حول الثّقافة..

وبشكل أكثر تحديدا.. تلك العبارة التّي وَرَدَتْ خلال حديثه عن الثّقافة في ثنايا كتابه (شُرُوطُ النَّهْضَة)، وهي أنّ الثّقافةَ نظريّةٌ في السّلوكِ أكثر من أن تكون نظريّةً في المعرفة..

.....

السَّلُوكُ إِذَنْ...

السّلوكُ الذّي يعبّرُ عن ثقافة الفرد، والجماعة، والمجتمع بكامله..

وفي هذا السّياق أنقلُ للقارئ الكريم عبارةً شديدةَ الأهميّة والخطورة.. تقول:

راقبْ أفكارك لأنّها ستصبحُ أفعالك، وراقبْ أفعالك لأنّها ستصبحُ عاداتك، وراقبْ عاداتك لأنّها ستصبحُ طِباعك، وراقبْ طِباعك لأنّها ستصبحُ مصيرك..

إذن: بعد الفكرة مباشرة يأتي الفعلُ أو السّلوكُ الذّي سيقودُ إلى ما بعده، وهو المصير النّهائيّ..

والعلاقةُ بين الصّحافة والثّقافة، بالمعنى سالف الذّكر، وثيقة، ووثيقة جدًّا.. فبناءُ الإنسان في زمن الثّورة الاتّصالية والإعلاميّة صار رَهْنًا في جانب كبير منه لوسائل الإعلام القديمة منها والجديدة والمتجدّدة..

.....

كان الحديثُ وما زال عن برمجة الإنسان، وإعادة برمجته وتكوينه، يدورُ حول أنواع البرمجة أو مصادرها أو مسبّباتها، وهي:

الوالدان، والمدرسة، والأصدقاء، والمحيط، والذّات.

لكنّ الحال تغيّر الآن، حيث صار التّوجيهُ الذّي يحقّقُه الإعلامُ هو صاحبُ الْكَعْبِ الْمُعَلَّى.. وهو قُطْبُ الرَّحَى في انبثاق الفكرة ثمّ السّلوك..

ومع ذلك يظلّ السّؤالُ مطروحًا:

هل الإعلامُ هو مَن يصنعُ الثّقافةَ السّليمةَ الإيجابيّةَ، أم أنّ الثّقافةَ الجَادّةَ هي التّي تُنتجُ إعلامًا رِسَاليًّا مُحْتَرَمًا..؟

إنّها علاقةٌ تبادليّة، وسؤالٌ جَدَلِيّ قد يكون مفيدًا لإثارة التّفكير...

والجواب:

الإعلامُ يؤثّرُ عبر نقل القِيم والمعايير، وتشكيل الرّأي العام، ونشر الثّقافات الجديدة وترسيخ سلوكيّات معيّنة... إلخ..

والثّقافةُ تؤثّرُ على الإعلام عبر تحديد بَوْصَلَةِ المحتوى، والتّأثير على اللّغة والأساليب، وحتّى الوسائل، وفرضِ وتحديد الأولويّات... إلخ..

وهكذا.. أيّهما وُجِدَ سيخدمُ الآخرَ حَتْمًا.. أو سيترافقان على طول الطّريق، ويكون كلّ واحد منهما مرآةً للآخر..

وبعد..

هذه المقالاتُ ظهرت على صفحات جريدة (صوت الأحرار)... والجريدةُ هي الصّوتُ غير الْمُعْلَن صراحةً لحزب جبهة التّحرير الوطنيّ الحاكم في الجزائر، أو الأكثر تأثيرا في دواليب الحكم منذ الاستقلال عن الاحتلال الفرنسيّ عام 1962.

(صوتُ الأحرار) صوتٌ غير معلن للجبهة، لأنّ الجريدةَ لا تُعَرِّفُ نفسَها مع عنوانها في الصّفحة الأولى على أنّها (لسانُ حال...)، لكنّ هذا الأمرَ معروفٌ بين جمهور الصّحفيّين والسّياسيّين والمتابِعين.

.....

هذه المقالاتُ، وغيرها من مقالات الزّملاء الكُتّاب، ظهرت في صفحة (اتّجاهات) على مدى أكثر من ستّ سنوات من النّشر الأسبوعيّ المنتظم... في تلك الصّفحة تَوَاتَرَتْ (خَرْبَشَاتِي)، وكان عنوانُ مقالي الثّابت: (مُنَاوَشَاتٌ بَرِيئَة).

فالشّكرُ، كلّ الشّكر، للسيّد محمّد نذير بِلّقرون، الصّحفيّ والمدير، وإلى طاقم جريدة (صوت الأحرار)، هذا العنوان المقتبَس من النّضال

الإعلاميّ خلال سنوات الحركة الوطنيّة والإصلاحيّة التّي سبقت ثورة نوفمبر المجيدة 1954.

.....

مقالي الأسبوعيّ، أو مَنَاوَشَاتِي، كان مساحةً حرّةً خاصّةً أتناولُ فيها ما أراه مناسبًا...

والمقالاتُ ظهرت بين أعوام 2008 و2013... سنواتٌ كان يعلوها الكثيرُ من الضّبابيّة في مجال الحرّيات، لأنّ الرّاية المرفوعة تتحدّثُ عن دولةٍ بِلَا قيود في مجال الكلمة.. لكنّ ما خَفِيَ كان شيئًا آخر..

وهكذا فالكتابةُ في تلك السّنوات كانت تقتضي الحذرَ الشّديد، فمساحةُ المقالِ حرةٌّ فعلا... لكن: رَحِمَ اللهُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ فَلَزِمَ حَدَّه..

كنتُ أعرفُ موقعَ الجريدة ومحيطها وحدودها وبحرها الذّي تتنفّس فيه ومنه... ولهذا كانت الأماني أحيانًا هي التّعبيرُ الأسلم والأحكم في تقديري، وكان النّزولُ إلى المجاملات أو الكلام اللّين الهيّن هو المهرب أو المخرج..

المقالُ الصّحفيُّ يُصَنّفُ ضمن الأنواع الفكريّة أو أنواع الرّأي في تقسيمات فنّيات الكتابة الصّحفيّة، أو الأجناس الصّحفيّة، وجميعها يسعى للتّعبير عن الواقع ونقله إلى الجمهور المُتَلَقّي.

والأنواع الفكريّة، أنواع الرّأي، تهدفُ في الأساس إلى تأطير الجمهور وتوجيهه وغرس القناعات والمواقف والقِيم في ذهنه، ومن هنا تبرزُ خطورتها وأهميّتها، فأرجو أن تكون (خَرْبَشَاتِي) قد حاولت الاقتراب من هذا الهدف..

.....

وخلال محاضراتي للطلاّب في مادّة فنيّات التّحرير الصّحفيّ كنتُ أركّزُ على مقالة الرّأي، وأنّها وسط بين الأدب والعلم؛ ففيها شيء من ذاتيّة الأديب وشيء من منهجيّة الباحث..

والذّاتيةُ مُهمّةٌ في المقال، لكنّها إن طغت عليه تحوّل إلى أدبٍ وانطباعاتٍ وخواطر..

والمنهجيّةُ كذلك، والنّظرةُ العلميّة، إن زادت جرعتها تحوّل المقالُ إلى مادّة علميّة لها أهلها ووسائط نشرها غير الجريدة التّي هي ملتقى جميع الفئات والمستويات، أَيْ: كلّ من اكتسب مبادئ القراءة ولو في مراحلها الأولى.

الكتابُ على ثلاثة مَحَاوِر، وقد بدأتُ بمحور الإعلام، ليتلوه محوران عن الثّقافة..

وجاء توزيعُ المقالاتِ على المَحاور تبعا للفكرة الغالبة على المقال.. أمّا ترتيبُها فاحتكم إلى تاريخ النّشر..

وتقديمُ محورِ مقالاتِ الإعلامِ على مِحْوَرَيْ الثّقافة، كما تقدّم الإعلامُ عن الثّقافة في العنوان أيضا، جاء في سِيَاقِ الرّضوخِ أو المُسَايَرَة لهذه الثّورة الإعلاميّة العارمة التّي نشهدها هذه السّنوات والعقود، ولا ندري إلى أين ستصلُ بنا وبسكّان المعمورة.....

الطاهر بن اعمارة الأدغم
وادي سُوف، الجنوب الجزائريّ
12 جْوِيلْيَة، يُولْيُو 2025 م
16 مُحَرَّم 1447 هـ

اَلْمِحْوَرُ الْأَوَّل
مَقَالَاتٌ عَلَى ضِفَافِ الإِعْلَام

المقال 1: تساؤل حول التّغطية الصّحفية لظاهرة الخطف..
المقال 2: حديث عن حقّ الصّحفيّ في الوصول إلى المعلومات..
المقال 3: بين الصّحافة الصّفراء وواجب المسؤوليّة والمهنيّة..
المقال 4: التّوازن بين نقل الأخبار السّيئة والمحافظة على التّفاؤل..
المقال 5: الوسطيّة في الكتابة والتّغطيات الصّحفية..
المقال 6: فتح الفضاء الإعلاميّ أمام الجميع..
المقال 7: إعادة هيكلة التّلفزيون العموميّ..
المقال 8: إشكالية تأخّر فتح المجال للسمعيّ البصريّ..

اَلْحَطْفُ فُوبْيَا

الإنسانُ مفطورٌ على حبّ نفسه وتقديمها وتفضيلها، ويُقال إنّ الرّجلَ السّويَّ لا يحبّ أن يفوقه أحد في علم أو خير أو صفات حميدة، لكنّه يرضى، بل يسعى إلى أن يفوقه أولادُه وفلذاتُ كَبِدِهِ، وأن يكونوا أكثر منه شهرة أو أعلى مرتبة في مستويات العلم والتّحصيل والوجاهة الخيّرية أو السّياسيّة وحتّى العشائريّة.

هكذا يبلغُ حبُّ الوالدِ لولده.. وفي هذا السّياق يقول الأستاذ مصطفى السّباعيّ رحمه الله: "ما رأيتُ كالأب، يهدمُ أولادُه بنيانَه وهو بِهِمْ فَرِحٌ وينغّصون عليه عيشه وهو منهم مسرور"..

ويحلو للبعض أن يسأل عن أجمل شيء في الطّفولة، ثم يجيب بأنّه البراءة.. نعم البراءة هي أجمل في الطّفولة.

هذه البراءةُ وتلك الأبوّةُ الفوّاحةُ بعطر الحنان والعطف لا تمثّل أيّ وزن أو قيمة دينية أو إنسانية عند بعض مرضى النّفوس في كلّ زمان ومكان، وهكذا يُقحمون براءة الطّفل وعاطفة الأبوّة في السّياسة والمال وتصفية الحسابات وحسم المعارك والخلافات، والوسيلة القديمة الجديدة هي الخطف ومن ثمّ التّهديد بالقتل أو التّنكيل..!!!

هذه الظّاهرة الخطيرة الموغلة في الدّناءة والحقارة، حطّت رحالها في بلادنا وخيّمت بظلالها القاتمة على الأُسَر الجزائرية، وزاد عنصرُ الإشاعة في تفعيلها، وغذّاها الخوفُ والحذرُ المُبَالَغُ فيه والتّشاؤمُ والنّظرةُ السّوداويّةُ لواقعنا المعيشيّ.

تأتي هذه الظّاهرة وكأنّها تحملُ رسالةً للجزائريين بأنّهم ما خرجوا من محنة إلا وقعوا في أخرى أسوأ وأشدّ منها، مع أنّ الظّنّ الحسن بالله تعالى ثمّ بأنفسنا ينبغي أن يدفعنا إلى التّفكير بخلاف ذلك،

والتّطلع إلى المستقبل بمطلق التّفاؤل، ولنا في ما أُثر عن أحد علماء الجزائر الأفذاذ المزيد من الأمل، وهو الشّيخ العلّامة عبد الرّحمان الثّعالبيّ رحمه الله، حيث قال:

إنّ الجزائر في أحوالها عجبٌ ولا يدومُ بها للنّاس مكروه
ما حلّ عسرٌ بها أو ضاق متّسعٌ إلا ويُسْرٌ من الرّحمان يتلوه

ظاهرة خطف الأطفال أثارت جدالًا واسعًا بين أعضاء الفريق الحكوميّ، قبل فترة، عند مناقشته لمنظومة رعاية وحماية الطّفولة في الجزائر، وأوصى رئيس الحكومة السّيّد عبد العزيز بِلْخَادِمْ بضرورة إيلاء القضية كلّ الاهتمام المطلوب والمتابعة التّي تستحقّها، وذلك حتّى لا تكون لها انعكاسات على الاستقرار الاجتماعيّ.

وقَصْدَ تطويق قضية اختطاف الأطفال، دعا رئيس الحكومة وزارة الدّاخلية إلى اتخاذ كلّ الإجراءات والتّدابير الضّرورية من أجل التّنسيق ما بين مختلف المصالح، للتّصدّي لهذه الظّاهرة التّي أصبحت تثيرُ مخاوف الأُسَر الجزائرية.

ولأنّ الحكومة قد كلّفت الدّاخلية، فهذا قد يعني أنّ هناك معلومات تفيدُ أنّ عمليات الاختطاف ليست أفعالا منعزلة، بِقَدْرِ ما هي جزء من إفرازات الأزمة الأمنيّة التّي مرّت بها البلاد..؟

ولا شكّ أنّ تكليف الأمن بهذا الملفّ صائب، فبلادٌ عانت ما عانته الجزائر خلال عشرية الدّم والنّار ليس غريبا أن تفرز عصاباتٍ تنشطُ في هذا المجال، أو حتّى مجرّد تصرّفات فرديّة متكرّرة ومتكاثرة لكنّها في حاجة إلى تطويقٍ أمنيٍّ صارم.

لكنّ للملفّ وجهًا آخر يمكننا أن نستشفّه من خلال ما تنشره صحافتنا المكتوبة حيث يتّضحُ أنّ الكثير من قضايا الخطف يقوم بها مراهقون و شباب تدفعهم الرّغبة في كسب مبالغ كبيرة في ساعات أو أيّام، ودون عناء وتعب وعمل بالنّهار وطوله وأطراف الليل..!

إنّ إقدام الشّباب على عمليات الخطف لأغراض ماليّة هي نتائج لمعطيات ومقدّمات كثيرة، منها الفراغ والتّسرّب المدرسيّ، والتّورّط في تعاطي المخدرات، والحاجة إلى مصاريف عالية ومبالغ وأموال لمضاهاة الأقران في شراء كلّ شيء ودون التّقدم في شيء، ومن ثمّ دخول تلك الدّوامة:

بطالةٌ اختياريةٌ أو جبريةٌ وجيوب فارغة ورغبة عارمة في الشّراء والإنفاق على النّفس من كلّ أنواع المغريات بشراهة تصل إلى حدّ الإسراف والتّبذير..!

المقدّمات تتجلّى أيضا في انخفاض مستوى الاهتمام العائليّ بالتّربية الشّاملة الواعيّة، وازدياد أعداد الأُسَر المفكّكة بسبب حالات الطّلاق الكثيرة، وبالتّالي نجدُ أنفسنا أمام تقصير أسريّ عائليّ، يَليه شارع لا يعرفُ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ولو بنظرةِ لَوْمٍ وتأنيبٍ ونُصْحٍ وذلك بانتشار فيروس:

"وَاشْ دَخَّلْنِي، وَاشْ يهِمّني، عَلاَشْ نْدَخَل رُوحِي في المَشَاكِل"..

ويلي كلّ ذلك أمن غير حازم في بعض الأحيان، وإن بدا الحزم منه وظهرت الشّدة المناسبة؛ وقفت الإجراءاتُ الطّويلة وتأخرُ المحاكمة عائقا أمام الهدف الأساسيّ للعقوبة الملائمة، فكلّما تأخّرت كلّما نسي الأقرانُ الجريمةَ فلن تمثّل لهم ذلك الرّدع الشّديد المساعد على الابتعاد عن سلك الجريمة أو التّفكير فيها.

إنّ التّعاون مطلوبٌ من الجميع لإصلاح وتغيير المقدّمات، ومن ثمّ الحصول على نتائج أفضل وأحسن، وعندها سنرى الأمر يتغيّرُ ويتغيّرُ حتّى تختفي هذه الظّواهر التّي لا تتناسبُ مع خصال شعبنا الكريمة، وحجم وعراقة موروثنا الثّقافيّ والحضاريّ.

وأخيرا هل لنا أن نتساءل عن طريقة وشكل التّغطية الإعلاميّة لمثل هذه الأحداث..؟؟

مع التّأكيد على أنّ عمليات الخطف، من النّاحية الإخبارية البحتة، تصلحُ لِمَانْشِيتَاتِ الصّفحات الأولى بامتياز؛ فإنّ التّفكير الفرديّ أو الجماعيّ حول كيفية النّشر مطلوب خلال هذه المرحلة التّي تمرّ بها بلادنا، حتّى لا تعمل الصّحافة، دون قصد طبعا، على تحويل حياة النّاس إلى هستيريا دائمة وتساهم في نشر ما يمكن تسميته بـ "اَلْخَطْفُ فُوبِيَّا".

2008-03-13

الشَّعْبُ هُوَ الْحَكَمُ الْوَحِيد

لا توجدُ تعليمةٌ كتابيّةٌ أو شفويّةٌ من السّلطات تقضي بمنع المعلومة عن الصّحفيّ.. هكذا برّأَ وزيرُ الاتّصال عبد الرّشيد بُوكَرْزَازَة الجهاتِ الرّسميّةَ من أيِّ مسؤوليّة قد يلقيها البعضُ عليها فيما يحدثُ من شحّ في المعلومات التّي يحتاجُها الصّحفيُّ ليجيب من خلالها عن تساؤلات المواطن المُتابع للشّؤون التّي تؤثّرُ بشكل مباشر أو غير مباشر على حياته اليوميّة.

وزيرُ الاتّصال، الذّي كان يتحدّثُ أمام منتدى إحدى صحفنا الوطنيّة مطلع الأسبوع الجاري، نفى أيضا، وبشكلٍ جليّ وواضح، أن تكون هناك إرادة حكوميّة لمنع المعلومة عن الصّحفيّ، لكنّ الأمر حسب السّيد الوزير يحتاجُ إلى ضوابط تحكمه.

ومن خلال حديثه المستفيض ظهرت قناعةُ السّيد بوكرزازة واضحةً بأهميّة الإعلام ودوره الحسّاس في البناء الدّيمقراطيّ، وهي نفس القناعة التّي نظنّ، وحسنُ الظّنّ هو الأساس، أنّها سارية المفعول لدى جميع الجهات الفاعلة في إدارة القرار وكلّ الذّين يحومون حولها، ومن كان على غير ذلك فدعونا نعتبره ذلك الشاذّ الذّي يؤكّدُ القاعدةَ ولا ينفيها.

نعم إنّها الضّوابط والآليات التّي نحتاجُ إليها في بلادنا، على غرار الدّول السّائرة على طريق الدّيمقراطية، حتّى تتخلّص العلاقةُ بين الجهات الرّسميّة ووسائل الإعلام من شكلها الحاليّ الذّي يسوده الكثيرُ من الفتور أحيانا، والفوضى أحيانا أخرى، وحتّى التّقاطع الذّي يؤدّي إلى إصرار بعض الجهات على وضع حواجز سميكة بينها وبين الصّحفيّ حتّى لا يصل إليها، ومن ثمّ الوصول إلى المعلومات..!

إنَّ ما يحتاجُه الصّحفيّ ليس توفير المعلومات فقط، فهذا أمرٌ تجاوزه الزّمن في الدّول الدّيمقراطيّة العريقة، حيث تحوّلت المسألةُ

هناك إلى فنٍّ يُكتسبُ تحرصُ الجهاتُ الرّسمية وغيرها على إكسابه وتعليم مهاراته لموظّفي العلاقات العامّة عندها، ومنسوبي المكاتب الصّحفيّة المتفرّغة أساسا للتّعامل مع وسائل الإعلام، وتوفير المعلومات والتّقارير والأرقام لها بشكل مستمر.

إنّ لِحَاقَنَا بالرّكب الدّيمقراطيّ الحقيقيّ يقتضي منّا الإسراعَ في الاتّفاق ومن ثمّ ترسيخ تلك الحقيقة التّي وصل إليها غيرُنا منذ عقود طويلة، وهي أنّ تدفّقَ المعلومات إلى الصّحافة ليس نقيصةً أو ضربًا من الفوضى..

بل هو حجرُ الأساسِ في بناء قواعد المجتمع الدّيمقراطيّ، الذّي تعملُ فيه الجهاتُ المسؤولةُ مع الصّحافة بكلّ تعاون وشفافيّة لِنَقْلِ المعلوماتِ إلى المواطنين، ليبرهنَ المسؤولُ أنّه في مستوى الثّقة التّي منحها إيّاه الشّعب، ولتبرهنَ الصّحافةُ على أنّها السّلطة الرّابعة فعلا، وليعمّ الأمن والأمان..

فعندما تسودُ ثقافةُ الشّفافيّة وينكشفُ كلّ مستور، تزولُ كلّ مبرّرات أولئك الذّين تعوّدوا الصّيدَ في المياه العكرة..

وقد عَرَفَ غيرُنا هذه الحقيقة في وقتٍ مبكّر حتّى قال الرّئيسُ الأمريكيُّ السّادسُ عشر أَبْرَاهَام لِينْكُولْن Abraham Lincoln:

دعوا النّاسَ يتعرّفوا على الحقائق، وعندئذ ستكون البلاد آمنة.

إنّ ما نصبوا إليه جميعا، على اختلاف أفكارنا وخلفيّاتنا ومشاربنا، هو سلطة الشّعب حيث الصّدور عن رأيه والاحتكام إلى قراراته عبر الصّندوق الشّفاف..

وما ينبغي الاتّفاق عليه، أنَّ الشّعبَ سيظلُّ فاقدًا للأهلية في اتّخاذ القرار الصّحيح في الوقت الصّحيح، إذا لم يحصل على المعلومة الدّقيقة وبالطّريقة الحِرَفِيّة الحياديّة التّي تَبْسُطُ أمامه المعلومات المجرّدة، دون أيّ شكل من أشكال التّوجيه أو التّدليس أو التّزيين أو التّضخيم أو التّحقير.

والمعلومةُ الصّحيحةُ لا تأتي إلاّ عبر الصّحافة الحرّة المسؤولة، وهي بدورها لن تكون فاعلة، ولن تعمل بطاقتها القصوى إذا لم تُفتح أمامها أبوابُ المعلومة ومخازن البيانات بجميع أنواعها وأصنافها، عدا تلك التّي تُصنف في خانة الأسرار المتعلّقة بمصلحة البلاد العليا.

ولفتح باب المعلومات أمام الصّحافة لا بدّ من التّمرّن على هذا الوضع، ولا بدّ لكلّ جهة رسميّة أو أهليّة أن تدركَ أنّها في حاجةٍ إلى الصّحافة لإيصال صوتها وما عندها وطرحه على الشّعب، ولا بدّ من إعلان الطّلاق البائن مع طرق التّفكير البدائيّة حين "يتصدّقُ" المسؤولُ على الصّحفيّ بكلمةٍ أو تصريحٍ أو رقمٍ أو معلومةٍ، ولا بدّ أن نودّعَ أيّامَ مطاردات الصّحفيّ لمصدر المعلومات

العموميّة، وننتقَل إلى الحالة المعاكسة وهي مطاردةُ المتحدّث الإعلاميّ أو المسؤول للصّحفيّ وإغراقه في بحر من المعلومات، فالأصلُ في المسؤول أنّه نظيفٌ خفيفٌ وليس لديه ما يخافُ منه..؟

فإمّا إنجازاتٌ يفتخرُ بها، وإمّا أخطاءٌ يعتذرُ عنها بكلّ شجاعة ومسؤولية.

ولا بدّ من قَطْعِ دَابِرِ بَذْرَة الشّك من أساسها.. ذلك الشّك الذّي يرمي به الكثيرون رجالَ الصّحافة، ولا ينظرون إليهم إلاّ من زاوية الرّكض وراء الآخرين وما عندهم، ونشر ذلك على الملأ.

لا بدّ أن تزولَ بذورُ الشّك، وتحلُّ محلّها الثّقةُ المتبادلة ومعرفةُ كلّ طرف لدوره ومكانه، والإقرار بأنّ التّنافسَ طبيعيّ، بل والصّراع أيضا، فَلِكُلٍّ وجهةٌ تختلفُ عمّا عند الآخر...

فالصّحافةُ تضغطُ للحصول على المعلومات، والجهةُ الرّسميّةُ تحرصُ على رواية الأحداث من وجهة النّظر التّي تراها صحيحة، وتعلنُ من الأرقام والإحصائيات ما ترى أنّه الواقع، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، ويتبارى المتبارون، والحَكَمُ الوحيدُ في ذلك هو الشّعبُ عبر جميع وسائل الوعي المتاحة لديه.

2008-05-08

نَحْوَ الصّحَافَةِ الصَّفْرَاء...!!

كنتُ في إحدى الإدارات الحكوميّة أتابعُ ملفًّا لِزَمِيلٍ صَحَفِيٍّ يعملُ في قناة إخباريّة، ولمّا أبطأت الموظّفةُ في عمليّة البحث قلت لها مازحا: إذا لم تعثري على الملفّ سيذاع اسمك اليوم في نشرة الأخبار.. فردّت بعفويّة: وهل لديهم وقت لذلك..؟؟ إنّهم لا يعرضون سوى أخبار الحروب والمصائب والمآسي والكوارث.

إنّ الحكمَ الذّي أَطْلَقَتْهُ تلك الموظّفة العادية، غير المتخصّصة في عالَم الصّحافة والأخبار، هو نفسه ذلك الحكم شبه العامّ الذّي يطلقه أغلب النّاس على الصّحافة بمختلف وسائلها ومدارسها ونجومها وأسمائها اللامعة..!

إنّه انطباع تسرّب إلى عقول الكثيرين ومن مختلف المستويات، والسّبب هو ذلك الكمّ الهائل من الأخبار السّيئة التّي تصلنا يوميا عبر وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية.

وفي المقابل نجدُ دفاعَ كثيرٍ من الإعلاميّين لا يخرجُ عن سياق تلك القاعدة التّي يُقال إنّها تحكم اختيار الأخبار: "إذا عضّ كلبٌ إنسانًا فالخبر لا يستحقّ النّشر، ولكن إذا عضَّ إنسانٌ كلبًا فهو خبر جدير بالنّشر"..

وارتباط الخبر بالإثارة من خلال هذه القاعدة واضح للعيان بطبيعة الحال، وهكذا صارت تلك "العضّة" مطيّة الكثيرين، وفي جميع أنحاء العالم، نحو عالَم الإثارة المطلق، أو ما يُصطلح عليه بالصّحافة الصّفراء.

وفي بلادنا، وبين صُحُفِنا الوطنية الكثيرة، يمكن ملاحظة تنامي هذه الظّاهرة، مع التّأكيد على الحذر من رمي أيّ صحيفة بأنّها

صفراء، لأنّ أغلب الصّحف تنشرُ الكثير من المواد والأخبار الإيجابية..

يمكن ملاحظة الظّاهرة عبر نظرة سريعة لكثير من العناوين المثيرة التي تدفع العقلاء إلى دقّ ناقوس الخطر، والتّساؤل بأسى عن الطريق الذّي تسير فيه صحافتنا الوطنيّة..؟

عناوين اجتماعيّة وأمنيّة خطيرة ومُحْبِطة لو تلبّس بها رجلٌ عاقلٌ كبيرٌ ذو عيال ودارت برأسه، كما تدورُ الخمرة، لجعلته تائهًا بين المقاهي يبحث عن سماسرة "الحَرْقَة" ليمتطي أَوّلَ قَارِبٍ مُتَّجِهٍ نحو الضّفة الأخرى..!

الأمثلةُ على انتشار العناوين "المزعجة" كثيرة، ومنها هذه "الباقة المختارة":

(أربعة موظّفين متّهمون باغتصاب مريضة عقلية، مضاعفة وزن الجثامين لتحويل الدّوفيز، هكذا اغتصبي والدي وأخي بتواطؤ من أمّي، طفلةٌ في الرّابعة عشر تنتحرُ شنقًا، قاصرٌ يسرقُ مبالغ بالعملة الصّعبة، شابّ يذبح عجوزا، أمٌّ عازبةٌ تقتلُ ولدها بالماء السّاخن، شابٌّ ينتحرُ بعد طَعْنِهِ لِفَتَاة، ابنة إمام تنهبُ خمسين مليارا، مجهولون يخيطون جَسَدَ متقاعد بالسّلك المعدنيّ بعد ضربه)..!!! إنّها عناوينٌ وردت في الصّفحات الأُولى لعدد من الصّحف الوطنية، أمّا

عناوين صفحات المحاكم والمجتمع والنّاس، ومثل هذه المسميات، فحدّث ولا حرج..!!

والعناوين السّابقة، وما شابهها، يلجأُ إليها المراسلُ والمحرّرُ ورئيسُ التّحرير رغبة في زيادة أرقام السّحب، ويغذّيها دائما ذلك التّنافسُ المحمومُ على كسب القرّاء، ومن ثمّ الاستحواذ على حجم أكبر من سوق الإعلانات.. ولعلّ ما يحدث بين صَحِيفَتَيْنِ أو ثلاث من تنافس هذه السّنوات يذكّرنا بقصّة الصّحافة الصّفراء وبداية ظهور هذه التّسميّة..؟

لقد وُلِدَتِ الصّحافةُ الصّفراءُ في أواخر القرن التّاسع عشر بالولايات المتّحدة الأمريكيّة، وتحديدا في مدينة نيويورك، وذلك حين أبدع أحدُ الكاريكاتوريّين في تصوير الحياة في مباني المدينة المزدحمة وبرزت من خلال الرّسم طفلةٌ بِلِبَاسٍ أَصْفَرَ نالت بعد ذلك شعبيّة كبيرة، وصارت تُعرف بالطّفلة الصّفراء..

وعندما انتقل الرّسامُ إلى صحيفة منافسة أخذ معه تلك "الطّفلة" وراح يواصل رسمها هناك، وحافظت الصّحيفةُ الأولى على "الطّفلة الصّفراء" عبر رسّام آخر، ثمّ ظهرت الطّفلةُ في مواد إعلانيّة ترويجيّة كثيرة لِكِلَا الصّحيفتيْن المتنافستيْن، ونشبت حربُ التّوزيع على

أشدّها بين الطّرفين، وكانت الإثارةُ هي التّي تقفُ وراء الجميع، ومن هناك أُطلق لقب "الصّحافة الصّفراء" على صحافة الإثارة.

وعودة من القرن التّاسع عشر والولايات المتّحدة الأمريكيّة إلى بلادنا، وعبر نظرة سريعة لعدد من الصّحف التّي تتحّدث عن أرقام عالية في توزيعها، يمكننا أن نتساءل ببراءة حول إن كانت بعض صحفنا تعتمدُ الإثارة الشّديدة على بصيرة تامّة ووعي كامل، وتسيرُ بالتّالي على خطى الصّحافة الصّفراء..؟

مع العلم أنّ بعض تلك الصّحف تحمل عناوين رصينة، وتملك في رصيدها سنوات من الخبرة والأداء الرّساليّ المسؤول.

إنّ المتصفّح لكثير من الجرائد الوطنيّة هذه الأيّام ينتابه شعورٌ بأنّ البلاد في طريقها إلى الإفلاس التّام أخلاقيا وسياسيا، وأنّ المستقبل لا يحملُ أيّ بارقة أمل، فالنّفقُ طويلٌ وطويلٌ جدا.. وعليه فليس أمامنا إلا انتظار القيامة..!!

إنّ حجم المشاكل والتّحديات لا يمكن ولا ينبغي ولا يصحّ إنكاره أو مجرّد التّهوين من شأنه، لكنّ الحذر مطلوب حتّى لا نجد أنفسنا ضمن مجموعات دعم وإسناد اللّوبيات التّي تقف وراء صناعة التّحديات وتسعى إلى زيادة المطبّات والعقبات.. يحدث كلّ ذلك من خلال الرّغبة في الإثارة ونشر ثقافة التّشاؤم واليأس والقنوط.

سمعتُ عن مراسلٍ لإحدى الصّحف الوطنيّة التّي تعتمد الإثارة وكيف صار مثل "حاطب اللّيل" فراح يبحث في منطقته عن الشّبهات والفضائح لِيُشِيعَها حتّى قبل أن يتثبّت، ويرمي المسؤوليةَ على المصادر العليمة والمتطابقة والمسؤول أو الشّخص الذّي طلب عدم الكشف عن هويته، وما إلى ذلك من تلك المتاريس التّي يختفي وراءها بعض صحفيّي الإثارة..!

لقد شوّه ذلك المراسلُ صورةَ منطقته وأظهرها، عبر التّعميم الذّميم، في أبشع صورة، وعندما تساءل زملاؤه في المهنة عن كُنْهِ ما يقوم به.. قال: لا يهمّني شيء على الإطلاق سوى أن يتزاحم القرّاءُ على خطف جميع أعداد جريدتي..!!

إنّ الإثارةَ في العناوين والأخبار كالملح في الطّعام، وإذا زادت على حدّها "أهلكت الحرث والنّسل" وغابت معها تلك الصّورةُ المشرقةُ عن صحافة المسؤولية.. مسؤوليةٌ وأمانةٌ في نشر الأخلاق والفضائل والحفاظ على الثّوابت والدّفع بالأمّة نحو المستقبل الواعد.

2009-10-24

قِمَّةُ الْعَظَمَة

عند قراءته للخبر الأوّل أحسّ بِلَكْمَةٍ قويّةٍ على مَعِدَتِه الخاويّة، أمّا الخبر الثّاني فقد نزل عليه كالصّاعقة، وكان الخبرُ الثّالث ضربةً قاضيّةً بالنّسبة لِرَجُلٍ مُنْهَكٍ ومرتجّ القدرات كما صوّر حالته.. من هو يا ترى..؟؟ إنّه كاتب محترم في جزائر المفارقات، والمناسبة حديث له حول ثلاثة أخبار فساد مروّعة أوردتها صحافتنا الوطنيّة في يوم واحد.

الأستاذُ الكاتبُ تحدّث في عموده الصّحفيّ بمرارة حول قذارة الفساد والفاسدين حيث يقول أيضا إنّه أحسّ بمغصٍ شديدٍ بدأ يهدّه من أخمص القدمين وما فوق، واغرورقت عيناه وأحسّ بالغثيان والخجل من هذه النّماذج البشرية التّي لا يوقفها إثم ولا يردعها رادع..!!

كلامُ الأستاذ كان بالغ التّأثير.. كلامٌ يرفعُ الغطاء، دون أدنى شكّ، عن روحٍ عاليّةٍ وشفّافة، كما يكشفُ عن معدن طيّب وحبّ للوطن وحرص عليه وعلى مستقبل أجياله الصّاعدة..

والحقيقة أنّنا جميعا في مثل هذه الحالات، مع تفاوت نسبيّ، نشعر بالألم الشّديد عند قراءة أخبار فساد من الوزن الثّقيل الذّي لا يحسن ولوج كواليسه والخوض في أوحاله إلا من كان على صلة أو قرابة بالخاصّة وأصحاب المنزلة والمكانة المرموقة.

وتزدادُ مساحات الألم ودرجة تركيزه كلّما كان المتورّطون في قضايا الفساد على قرابة بشخص مسؤول له وزنه وكلمته وطلعاته البهية على الشّاشة وهو يعدّدُ، أو يَمُنُّ، ما قَدّمَهُ للوطن من خدمات وما ساهم به من إنجازات.. كما هو الحال في الأخبار الثّلاثة التّي تحدّث عنها الأستاذ الكاتب حيث كان لأبطالها علاقات نَسَبٍ مباشرة مع مسؤولين تنفيذيين كبار..؟؟

إنّ كلّ قارئ، مهما كانت طبقات الغفلة المكدّسة على قلبه وعقله، يشعرُ بالألم في معدته عندما يقرأُ عن ذلك المسؤول الذّي بدّد سبعمائة مليار سنتيم خلال عامين، واعترف بذلك في قاعة المحكمة، وعندما حاول القاضي الطيّب معرفة مآل المال ومصيره طمعا على ما يبدو في إعادته إلى خزينة الشّعب؛ قال الرّجلُ دون حياء: إنّه أنفق المبلغ خلال السنتين الماضيتين على ملّذاته ومصالحه وطلعاته ونزلاته..!!!

كلامٌ عجيبٌ غريبٌ لا يمكن هضمه بالنّسبة لي على الأقلّ، فهل يمكن لشخص أن يُزِيلَ ملياريْ سنتيم من الوجود كلّ يوم، حتّى لو أحرقها بالنّار حرقا...؟!!

ويزدادُ الطّينُ بلّة عندما نسمع الحكمَ الصّادرَ الذّي لا يتجاوز سنوات معدودة يقضيها الرّجل بين جدران السّجن ويستطيع خلالها أن (يحسّن سلوكه) وربّما يحفظ القرآن الكريم أو يجتاز امتحان الباكالوريا بنجاح، وهنيئا له بكلّ ذلك، ليستفيد من تخفيف المدّة وربّما يغادرُ السّجنَ قبل ذلك الرّجل القرويّ الذّي سرق عددا من رؤوس الماشية وحُكم عليه بعدد من السّنوات النافذة، وهو مثال يفتح الباب أمام الخبراء ورجال القانون للحديث عن هذه الأصناف من السّرقات والتّفاوت الكبير بينها، ومن ثمّ العمل على التّفريق

الصّارم مستقبلا بين من يسرقُ كيسَ طَحِين وقارورةَ زيت أو كبشًا ونعجة، وبين من يخطّطُ ويدبّرُ ويتحايلُ ليحوّلَ مسارَ الأموال العمومية نحو حساباته الخاصّة، ومن هناك يدمّر مؤسّسات قائمة، ويشرّد مئات العمال والموظّفين، ويساهم في وضع عصا جديدة في دواليب الاقتصاد الوطنيّ ومسيرة التّنمية المنشودة.

نحن مع الأستاذ الكاتب في مشاعره وغيرته على الوطن وسخطه على الفساد والمفسدين، لكنّ نهاية المقال أدخلت رعبا شديدا في كياني وكادت أن تُطيرَ جسامةَ الجرائم التّي تناولتها الأخبار الثّلاثة من رأسي، بل عكّرت مزاجي ودفعتني إلى عدد من التّساؤلات والغوص في مسارات أخرى..؟؟

لقد ختم الأستاذ الكاتب عموده الشّاكي الباكي بقوله: وإلى مهالك أخرى.. وهناك رحتُ أدقّق في مبنى كلمات تلك الجملة القصيرة لعلّ خطأ مطبعيا هو الذّي قاد إلى هذه النّهاية الشّديدة السّواد والمشبعة حتّى التّخمة بالتشاؤم..؟؟

وأعدتُ القراءةَ أكثر من مرّة لعلّ السّياق يحملُ تفسيرا آخر لتلك الجملة الشّبيهة بالقنبلة الموقوتة أو المنسية في مكان ما لتنفجر في غفلة من النّاس.

ندرك جميعا حجم التّحديات والكوارث لكنّ بعض الحلّ، إن لم يكن جلّه، في التّفاؤل بالقادم من الأيام والسّنوات، لأنّ الأمم المتفائلة السّعيدة هي التّي تتسلّق جدران التّنمية الحقيقية، وتُخرّجُ العباقرةَ والقياداتِ المستقبليّة، وتغزو العالَم بالعلم والعمل.. أمّا تلك الأمم التّي أدمنت جرّ أثقال الهموم والمآسي والشّكاوى؛ فستظلّ في مكانها حينا من الدّهر حتّى تدرك الطّريق الصّحيح للخروج من أزمات التّخلف.

إنّه لَأَمْرٌ سَهْلٌ أن يبتسم المواطن في بريطانيا (العظمى)، وأن يتطلّع الأمريكيّ بتفاؤل لمستقبله وهو يشاهدُ بأمّ عينيه ذلك البيت الأبيض وقد دارت برأسه الحميّةُ وأحمرّ وجهه لأنّ مواطنا أمريكيا عانى ظلما أو حيفا في أقصى الأرض.. **لكنّ قمّة العظمة أن تبتسم وفي عينيك ألف دمعة كما قال أحدهم.**

دعوة صادقة، من القلب، إلى جميع الزّملاء من الكتّاب والصّحفيين: أكتبوا الحقائق كما تريدون وشرّحوا الوقائع كما تشاؤون.. لكن.. تذكّروا دائما مساحات الأمل والتّفاؤل التّي يتنفّس من خلالها المواطن الحيران..

إنّ لدى بلادنا فائضا من الذّين يحملون جبالا من العُقَد والمشاكل والحسابات الخاطئة والحساسيات الزّائفة، والحمد لله الذّي لا يُحمد على مكروه سواه..!!

إنّهم كثيرون في مواقع المسؤولية والمعارضة على حدّ سواء، ويحرصون على تبليغ رسائلهم السّلبية القاتمة على أحسن وجه، ومن هناك إلى مزيد من الشّحن النّفسيّ والتّوتّر والقلق في أوساط المواطنين..!!

لكنّ الحاجة ماسّة إلى نفحات من التّفاؤل والانشراح والتّطلع بكلّ طمأنينة وسكينة إلى المستقبل المشرق الباسم.. عندما نفعل ذلك سوف نتحدّى جميع صيّادي المياه العكرة ونتربّع على قمّة العظمة.

2010-05-01

خَيْرُ الْأُمُورُ أَوْسَطُهَا

في كتابه الغنيّ بِعَدَدٍ كبيرٍ من المداخلات والكلمات والموسوم بـ (خَارِجُ السِّرْب) يقول الدّكتور أبو القاسم سعد الله، شيخ المؤرّخين الجزائريّين: المهمّ أنّني أكتبُ ما أعتقدُ وأسيرُ، إذا اقتضى الحال، في الطّريق دون رفيق.. إنَّ سعادةَ الكاتبِ هي أن يجهرَ بصوته هو، لا أن يكون صدى لصوت غيره وهذا ما حاولته فيما كتبتُه كلّه.. ويختمُ الفكرةَ بقوله: إنّني سعيدٌ لأنّني بلغتُ هذه السّنّ وأنا أسيرُ على هذا المنوال، رغم أنّ الوصول إلى المطلق أمرٌ صعب المنال، والحمد لله الذي هدانا لهذا.

ويقول الأمريكيّ "وِينْ دَبَلْيُو دَايْر" في كتابه القيّم (سَوْفَ تَرَاهُ عِنْدَمَا تُؤْمِنُ بِه) وهو يتحدّث عن تأليفه لأحد كتبه:

"لقد قال بَابْلُو بِيكَاسُو: إنّني أتركُ جسدي بالخارج لأقوم بأداء عملي، لقد فعلتُ ذلك وأنا أكتبُ هذا الكتاب، حيث تركتُ جسدي خارج الحجرة، وأقصدُ بذلك أنّني تركتُ عالَم الآلام والتّطفّل الذّي نعيشُه من خلال الشّكل بالخارج، وسمحتُ لعقلي فقط بالدّخول إلى مكان الكتابة".

ما سبق أردتُه توطئةً لحديث عن الحياد والمهنيّة والحريّة الحقيقيّة التّي نرجوها دائما لأقلامنا الصّحفيّة مهما اختلفت ألوانها ومشاربها ولافتاتها..

إنّها تلك الحريّة التّي ترفعُ من مستوى أوراق الجرائد فتصبحُ سلطةً رابعةً قويةً تزلزلُ عروشَ الفساد، وتصنعُ الْأَرَق في أعين المرتشين والمتلاعبين بأموال الشّعب، وتجعلهم يتحرّقون شوقًا إلى نومٍ هادئٍ مريحٍ بعيدٍ عن كوابيس وأحلام الحبس والاستجواب والمحاكم.

إنّ التّجرّدَ المطلقَ والحيادَ التّامَّ أثناء الكتابة ونقل الأخبار قد لا يكونُ في متناول الجميع في كلّ الأحوال ومختلف الظروف، لكنّ الاجتهادَ في التّخلص من العوامل الخارجية والضّغوط أثناء الكتابة

أمرٌ متاحٌ ويمكنُ ممارسة التّدريب عليه عبر "رياضة نفسيّة" متواصلة في هذا الشّأن، حتّى نصل إلى درجات مقبولة نشعرُ بعدها أنّنا نقولُ الحقيقة أو ما نعتقد أنّه كذلك.

إنّ الصّحفيَّ الذّي يحترمُ نفسه جزءٌ من مجتمعه، يحزنُ لأحزانه ويفرحُ لأفراحه ويتمنّى له كلّ الخير والتّقدّم والازدهار، وهكذا لا ينظرُ فقط إلى حجم مبيعات صحيفته ورصيده الذّي يزداد، واسمه الذّي ينتشر مع سريان الخبر كالنّار في الهشيم..

سمعتُ مرّة زميلاً صحفيًّا يتحدّثُ وقد حَضَرَ مَجْلِسَ عَزَاءٍ لِشَابّيْن قُتِلَا في ظروف غامضة وغريبة، وكان يريدُ الحصول على معلومات عن تلك الحادثة اللّغز.. قال: جلستُ بين المعزّين وكأنّني حزين مثلهم..!!

لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم..

ما الذّي يحولُ بينك وبين أن تكون حزينا مثلهم..؟؟

أنت إنسان والحادثة في منطقتك، وهي مأساوية بكلّ ما لهذه الكلمة من معنى... إحزن لأنّك في مجلس حزن، ولا يمنعُ هذا أن تتسمّع إلى أحاديث النّاس لعلّ خيطا منها يقود إلى تكوين قصّة إخبارية مفيدة لك ولجريدتك، وفاتحة أيضا لشهيّة الجهات المعنية لمزيد من التّحقيق الذّي يقود إلى الحقيقة والقصاص العادل.

وعودة إلى كلام الدّكتور الشّيخ سعد الله وسعادة الكاتب المتمثّلة في الجهر بصوته بدل أن يكون صدى لصوت غيره، وكلام الأمريكيّ "وين دبليو داير" الذّي يسمح لعقله فقط بالدّخول إلى مكان الكتابة..

نعودُ إلى ذلك الكلام النّفيس لنتداعى إلى فتح باب الأمل على مصراعيه، ونتطلّعُ إلى أقلامٍ صحفيّةٍ تكتبُ انطلاقا من ذاتها وما تراه حقًّا وصوابًا فقط، بعيدا عن الأحكام المسبقة والقوالب الجاهزة والمعطيات الخاطئة والحساسيّات التّي نسجتها سنواتٌ ومراحل وأحداث سابقة أكل الدّهر عليها وشرب.

نريد تلك الأقلام التّي تحملُ لواء الوسطيّة في الطرح، والعقلانيّة في التّناول.. وهكذا تنقلُ الحدثَ إلى القارئ متوازنًا يحلّقُ في خيال التّفاؤل والتّطلّع إلى المستقبل المشرق، لكنّه يمشي على أرض الواقع أيضا بكلّ ما فيها من آلام وآثام وخطايا البشر وتقلّبات أمزجتهم وخزاياهم في حقّ بعضهم البعض.

نعم إنّ الموقعَ الذّي يجب أن نختاره دائما هو الوسط فـ "خير الأمور أوسطها"، وينبغي الحذر من الضّياع والتّيه في مجاهل التّهوين أو ظلمات التّهويل، فكلاهما مهلكٌ للحرث والنّسل، ومُغلقٌ بالشّمع الأحمر للذّاكرة الجَمعيّة الإيجابية، ومدعاةٌ لِيأْسٍ مطلقٍ مُدَمِّرٍ أو نومٍ

وغفلةٍ بائسة.. فالبلادُ ليست على طريق الدّمار والهلاك تماما، وليست مثاليّة في كلّ الجوانب أيضا.

نعم.. هناك صراع كما هو الحال في دول أخرى مشابهة حيث الحرب الباردة الخفيّة وحتّى العلنيّة بين صنّاع السّياسة النّظيفة وصنّاع تلك السّياسة التّي يوجهّها المال ويتحكّم في مساراتها القريبة والبعيدة... التّدافع موجود ومعروف لكنّ الأمر أقلّ وأهون من تصوير البلاد على أنّها مرهونة لعصابة قلّ عددها أو كثُر.. وعندما نفعل ذلك فإنّنا نتجاهلُ تلقائيا العدد الكبير من أصحاب الأيادي النّظيفة والقلوب العفيفة والوطنية الصّادقة، وندفعُ الشّباب بالتّالي إلى المزيد من عمليات الانتحار في ظلمات البحر على تلك القوارب المتهالكة في اللّيالي الحالكة.

لقد كانت أمّ الإشكاليات في السّنوات القليلة الماضية عندنا هي تلك المفارقة التّي يتابعها القارئ والمشاهد.. **فكثير من الجرائد تصوّرُ الواقعَ بشكل فظيع للغاية، بينما تَرِدُ الصّورةُ مغايرةٌ تمامًا في نشرة الثّامنة على التّلفزيون..**

صورةٌ ارتدت فيها البلاد حلّةً زاهيةً من الإنجازات والمشاريع التّي تضفي السّعادة على وجوه البشر.. صورةٌ تعطي لحياتنا شكلا قد تحسدُنا عليه تلك الشّعوب التّي قطعت أشواطًا في المدنيّة والرّخاء

والازدهار، وثراء البُنْيَة التّحتيّة واستجابتها للتّطورات وتماشيها مع تطلّعات المواطنين.

وبفضل الله.. هاهي التّلفزة الوطنية قد عدّلت من مسارها منذ فترة، وصارت تعرضُ أخبارا متوازنة إلى حدّ ما، حيث تُظهرُ التقصيرَ إلى جانب الإنجاز، وترفعُ الغطاء عن الفوضى بعد تجلية أوجه الاتقان والإحسان.. وهو مذهبٌ محمودٌ يتمنّى له العقلاء النّجاح والتّطور مع المتابعة والاستفادة المستمرّة من أخطاء المسيرة.

2010-11-20

رَفْعُ حَالَةِ الْغِشَاوَة

ربّما اعتقدنا قبل سنوات قليلة أنّ القنوات الفضائيّة هي قمّةُ ما يمكن أن تصل إليه ثورة الإعلام الحديث، وحجّتنا في ذلك وجيهة حيث كسرت الأقمارُ الصناعيّةُ الحواجزَ وقرّبت بين الشّعوب والثّقافات، وأخرجت إلى العلن كلّ شيء تقريبا، وظهر الرّأي والرّأي المقابل له بعد أنّ ظلّت التّلفزيونات الرّسمية تضخّ فينا على مدى عقود رأيًا واحدًا تقولُ إنّ الباطل لا يمكن أن يأتيه سواء من بين يديه أو من خلفه.

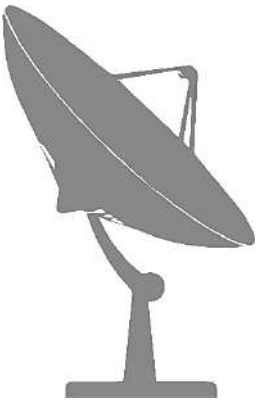

تطوّرات وسائل الإعلام والاتّصال في السّنوات الأخيرة هشّمت بعنف تلك القناعة ووضعت الجميع أمام هذا الواقع الجديد الذّي يمكن فيه لكلّ فرد أن يكون صحفيًّا يخاطبُ العالَم كلّه، والوسيلة بسيطة ومتاحة فهي لا تعدو جهاز كمبيوتر موصول بشبكة المعلومات العالميّة المعروفة بالأنترنت.

لقد دخل على خطّ الإعلام التّقليديّ والحديث إعلام آخر بدأ يُعرف بالإعلام الجديد، وهو الذّي تلعبُ فيه مواقع التّواصل الاجتماعيّ الدّورَ الرّئيسَ، وكانت ثماره الأوّليّة في عالمنا العربيّ ما نرى من أحداثٍ قلبت موازين الحكم والسّياسة في دول، وحرّكت المياه الرّاكدة في دول أخرى، وأدخلت الرّعب في أوساط نخبٍ سياسيّةٍ كادت تُقْسِمُ بأغلظ الأيْمان أنّ الأرضَ ثابتةٌ لا تدور، وأنّ الأيّام ليست دُوَلًا بين النّاس حيث اعتقدت أنّها لها وحدها ومن بعدها الأولاد والأحفاد، وحولهم الأصحاب والأحباب الذّين يدورون حيث تدورُ المنافع والمصالح..!!!

معطيات اتصال وتواصل جديدة تفرضُ على صنّاع القرار في الجزائر قراءةً جديدةً للمشهد الإعلاميّ..

وكم نتمنّى أن تكون متأنّيةً وموضوعيةً وقريبةً من نبض قلوب وعقول الشّباب، وكم نتمنّى أيضا أن تكون قراءةُ الوزير الأوّل أحمد

أويحى شخصيةً أو أَوَلِيَّةً أو مرحليّةً لا أكثر لأنّها لا تحمل أيّ بصمات تَتَاغُمٍ مع المحيط العربيّ القريب، فضلا عن جيراننا على الضّفة الشّماليّة للمتوسّط..!

لقد تحدّث الوزيرُ الأوّلُ مطوّلًا أمام الصّحفيين شارحًا لنتائج اجتماع الثّلاثيّة الاقتصاديّة الأخير، وتوقّف عند محطّة ما يُعرف عندنا بالإعلام الثّقيل، وقال كلامًا في هذا المضمار حسبما نقلت جريدة صوت الأحرار:

"وعلى صعيد مطلب فتح قطاع السّمعيّ البصريّ لم يَرِدْ في كلام الوزير الأوّل أيّ جديد باعتباره احتفظَ بإطلاق إشارات غير واضحة جاء من ضمنها: أنّه سيأتي يوم يُفتح فيه قطاع الإعلام.. قبل شهرين كنّا ننظر إلى مطلب رفع حالة الطّوارئ على أنّها جدار برلين ولكن اليوم هي حقيقة.. ومدافعًا عن المؤسّسة العموميّة للتّلفزيّون: معارضتنا ترفضُ الظّهور في الشّاشة وهذا من حقّها.. لكن ما يحصل أنّ الفضاء الإعلاميّ مفتوح بالتّساوي للكلّ.. ليضيف: الجزائر تمشي خطوة خطوة".

دعونا نتفهّمُ سياسةَ الخطوة تلو الخطوة التّي يتحدّثُ عنها الوزير الأوّل، ودعونا نثّمن خطوة رفع حالة الطّوارئ، لكن من حقّنا التّأكيد على أنّ المطلب رقم واحد في هذه المرحلة هو رفع حالة

الغشاوة عن العيون والنّظر بوعي إلى أنفسنا وما حولنا عبر أكثر من رأي وقناة وصوت وصورة، لأنّ سنوات الغشاوة الطّويلة هي التي صنعت الاحتقان في أوساط شعوب بلدان شقيقة ودفعت شبابها إلى السّاحات.

إنّنا دولة كبيرة المساحة ومتنوّعة التّضاريس وغنيّة بلهجاتها وثقافاتها وآثارها ومعمارها، وقد أثبتت تجربةُ محطّات الإذاعة المحلية الجوارية نجاحها ووصولها إلى العمق الجزائريّ بجميع أبعاده وتفاصيله، وصارت متنفّسًا حقيقيًّا تضيقُ عنه فضاءات الإذاعة الوطنية ولو بذلت جهودا لا نظير لها في الشّرق أو الغرب..

ويُفترض بعد هذا النّجاح أن يكون قطار الإعلام قد وصل عندنا إلى مشارف المحطات التّلفزيونيّة المحليّة الجوارية، بعد أن تجاوز مرحلة المحطات الوطنية الخاصّة بجميع ألوانها ومشاربها، ولا يبرّرُ عجزنا عن الوصول إلى هذا الهدف فتح التّلفزيون الرّسميّ أبوابه أمام المعارضين، كما قال الوزير الأول، لأنّ حجم ما ينبغي إبرازه في الجزائر كبير وكبير جدا، فنحن في حاجة إلى تغطية جميع الانشغالات وسدّ جميع الثّغرات وفتح كافّة الملفّات، وأكثر من ذلك رسم تلك الصّورة الجميلة والمتنوّعة للجزائر لتُدْخِل السّرور على

الأصدقاء الأقربين وتُفحم الأعداء المتربّصين الذيّن تفنّنوا في رسم صورة قاتمة دامية لبلادنا.

تَحدّثَ أحدُ المسؤولين قبل فترة مُدَافِعًا عن عدم فتح مجال السّمعيّ البصريّ قائلا إنّ بعض رؤساء الأحزاب ظهروا على التّلفزيون الرّسميّ وسبّوا وشتموا ولم ينتقدوا فقط، وما بين سطور كلام الرّجل تقليل من أهمية فتح مجال الإعلام الثّقيل أمام الجميع..!!

حسبنا الله ونعم الوكيل.. من قال إنّ القنوات الفضائية القادمة، عاجلا أو آجلا، ستكون منابر للسّبّ والقذف ونشر الغسيل..؟

ولماذا لا نتفاءلُ ونتطلّعُ إلى أن تكون إضافات إيجابية عبر الحوارات الهادفة والبرامج الجادّة والامتداد المكانيّ والزّمانيّ الذّي يتيح الوصول إلى جميع زوايا وتعرّجات الجزائر العميقة، وعرض آلامها وآمالها عبر أكثر من رأي، وهو أمر لن يكون في متناول قناة رسميّة واحدة مهما حلّقت جهود وإبداعات طاقمها في السّماء.

إنّ الطّريق الأسلم لنا جميعا هو حرّيّةُ إعلامٍ ثقيلٍ ينقلُ الشّاردةَ والواردةَ، ويضعُ الشّعبَ أمام جميع الحقائق، ومن هناك تجدُ الجهاتُ الرّسميّةُ نفسها أمام امتحان شعبيّ متواصل:

ففي وجود الإعلام الثّقيل، ومع موجة الإعلام الجديد، سنقول

وداعًا لعوالم التّعتيم والتّلاعب والتّضخيم، كما أنّ المرحلة القادمة في حاجة إلى معارضة قوية حتّى يتسنّى لنا تذوّق طعم الإصلاحات السّياسية الموعودة، **ولن يتحقّق هذا المطلب إلا عبر فتح السّماء أمام جميع أبناء الوطن لتنقل القنوات كلّ شيء في حينه وعلى مدار السّاعة،** وحينها تتشكّل الآراءُ وتشيّدُ القناعات الجديدة، وعندها سيختارُ الحاملون بين تجديد طرائق تفكيرهم ونظرتهم إلى الشّعب، أو الرّحيل غير مأسوف عليهم.

2011-06-04

التّلفِزْيُون لَيْسَ جَمْعِيَّةً خَيْرِيَّة

صحفيٌّ متميّزٌ يؤدّي عمله في أمان الله وحفظه.. تعرّض للعتاب والتّهميش، والسّببُ مجرّد رؤيا في المنام لا ناقة له فيها ولا جمل.. لقد رآه زميلٌ له في مقام رئيس التّحرير، يجلسُ على كرسيّ المسؤولية ويديرُ العملَ على أحسن ما يرام.. ولمّا شاع الخبرُ ووصل إلى الْمُتَرَبِّعِ على عرش الجريدة، رئيس التّحرير الفعليّ، أحسّ بالخطر القادم وخشي أن يكون حقيقة ماثلة للعيان.

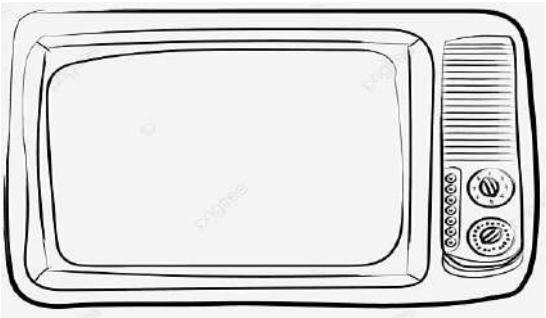

القصّةُ سمعتها من زميل مصريّ، ومسرحُها صحيفةٌ حكوميّةٌ كبيرةٌ في بلاد النّيل خلال السّنوات الأخيرة لحكم الرّئيس حسني مبارك وعائلته..

وفي القصّة المزيدُ وهو أنّ سقوطَ مبارك أَفْرَجَ عن كثير من الكلام الذّي كان حبيس النّفوس، ومنه عَرَفَ النّاسُ أنّ رئيس التّحرير المذكور، الذّي قرّر مصادرة أحلام الآخرين، كان يتصرّفُ في أموال الجريدة بشكل خُرَافِيّ، ومن ذلك أنّه استغلّ خمسًا وعشرين شريحةَ هاتف نقّال، وخمسَ سيّاراتٍ تابعةٍ للجريدة.. نعم لم يكتفِ بأولاده حتّى قرّر تعميم (المعروف) على أصدقائهم فهم يستفيدون من الاتّصالات والنّقل المجانيّ...!!!

إنّه مثال واحد على درجة الفساد الذّي تسرّب إلى قطاع الإعلام المصريّ في زمن الاستبداد وتكميم الأفواه وقمع أيّ محاولات جادّة للرّشد والإصلاح.. والصّورة نفسها قد تتكرّر في جميع الدّول العربية البعيدة حتّى الآن عن مناخ الحريّة الحقيقيّة وسيادة القانون حيث تتوفّر شروط الشّجاعة لدى المواطن، مهما كان موقعه، ليسألَ ويُحاسبَ ويكتبَ ويفضحَ بارونات الفساد ويرفعَ الدّعاوى أمام القضاء، وهو في كلّ أحواله آمنٌ على نفسه وأهله وقُوتِه، لا يخشى إلا الله تعالى.

إنّ الحديثَ عن مناخ العمل الإعلاميّ ودرجة نقائه مهمّ للغاية في جزائر اليوم حيث قانون الإعلام الجديد وفتح المجال السّمعيّ البصريّ أمام الخواص..

والحديثُ مهمّ أيضا في وصف طبيعة الأرضية التّي نقف عليها الآن، ومنها سيكون الانطلاقُ نحو آفاق أرحب في عالم الإعلام الثّقيل، وما يتبعه بعد ذلك من تداعيات يُفترض أن تكون إيجابيّة.

والسّؤالُ المطروحُ هنا: ماذا لو انكشفت الأقنعة...؟؟

هل سنعثرُ في ثنايا الذّاكرة على قصصٍ تشبه ما فَعَلَهُ رئيسُ التّحرير المصريّ الذّي ظنّ أنّ في استطاعته مصادرةَ أحلام الآخرين..؟؟

(إذا لم تَسْتَحِ، فاصنعْ ما شِئت).. مثالٌ طبّقه رئيسُ التّحرير المصريّ على أكمل وجه، ويمكنُ أن يطبّقه أيضا من هم على شاكلته في أيّ موقع إعلام في هذا البلد العربيّ أو ذاك، خاصّة إذا تحالفت عوامل متعدّدة منها اندثار الحياء وموت الضّمير والأنانية المفرطة والخواء المهنيّ والأخلاقي، والنّتيجةُ الطّبيعيّةُ بعد ذلك هي تلك البيئة التّي تزدحمُ بالأوبئة والأمراض، ومنها يتشكّلُ السّدُّ المنيعُ أمام ولادة إعلام حرّ قادر على المنافسة.

لقد دقّ المعنيون بالأمر ناقوسَ الخطرِ مع اقتراب مرحلة الفضائيات الخاصّة في الجزائر، وَأَدْرَكَ هؤلاء، ربّما بعد فوات الأوان، أنّ أيام الانفراد بهذا القطاع قد ولّت إلى غير رجعة، وهكذا تَسَرَّبَ حديثٌ عن مفاوضاتٍ تجري مع الصّحفيّ المعروف حفيظ درّاجي والمدير السّابق للتّلفزيون حمراوي حبيب شوقي، والهدف هو إعادتهما إلى الجزائر لتحريك المياه الرّاكدة، وضخّ الدّماء في شرايين التّلفزيون الرّسميّ عساه يصمدُ في أتون المعركة القادمة.

ومع كامل الاحترام لزملاء المهنة أينما حلّوا وارتحلوا، فإنّ المشكلة ليست في غيابهم والحلّ أيضا ليس في عودتهم، وقد قال حفيظ درّاجي كلاما في هذا المعنى نشرته جريدة وطنية: "لا يهمّ حفيظ درّاجي ولا طبيعة الأشخاص والمؤسّسات التّي ستخوض التّجربة الإعلاميّة الجديدة لأنّ الجزائر غنيّة بالكفاءات والمهارات، ولا يُشترط سوى المناخ الاجتماعيّ والإعلاميّ النّقيّ والنّزيه لإِعْطَاءِ الشّعب الجزائريّ ما يحتاجه وإعطاء الدّولة الجزائريّة المكانة التّي تستحقّها".

نعم إنّه فقدانُ المناخ المناسب ذلك العامل الحاسم الذّي قَيّدَ الطّاقات الكامنة، ودَفَعَهَا نحو الهجرة والسّعي لإثبات الذّات في

الشّرق أو الغرب، وهناك كان الظّهورُ والتّألّقُ والإبداعُ والإحساسُ بالتّطور المستمرّ، لا الجمود في المكان ذاته سنين عددا..!

شابٌّ طموحٌ كان ضمن طاقم إذاعة جهويّة ثمّ انتقل إلى الإذاعة الوطنية.. حَضَرَ يومًا مؤتمرًا صحفيًّا لوَزِيرٍ بَارِزٍ، وهناك وَسْوَسَ له (شيطانُ الصّحافة) فَتَفَوَّهَ بسؤال جريء، فماذا كانت النّتيجة...؟

لقد اتّصلت الوزارةُ بالإذاعة للاستفسار عن هذا الصّحفيّ، ومن أعطاه الحقّ في ذلك السّؤال...؟؟!!

أين هو ذلك الصّحفيّ الآن..؟

إنّه في دولة خليجيّة يتألّقُ على الشّاشة يوما بعد آخر..

صحفيٌّ آخر، في ريعان الشّباب وقّة الحماسة والعطاء، اختلف مرّة مع إدارة التّلفزيون فَفُصِلَ عدّة أشهر ذاق خلالها طعم البطالة والجري في شوارع العاصمة للتّوسّط عبر فلان وعلاّن.. ثمّ عاد.. لكنّه غَادَرَ عندما لاحت له أوّل فرصة في الخارج، وهو الآن مذيعٌ لامعٌ في فضائية ناطقة بالعربيّة.

مثالان عاديان لمن يعرفُ كواليس الإعلام الرّسميّ في بلادنا، لكنّ فيهما ما يكفي للتّأكيد على ضرورة التّكاتف لصنع ذلك المناخ المناسب للتميّز والإبداع، لأنّ في بلادنا طاقات كثيرة وكبيرة، فهناك شباب وشابّات من الجهات الأربع للوطن، ومن المتحدّثين

بالعربية والأمازيغيّة (والشّاويّة والتّارغيّة) والفرنسيّة وحتّى الإنجليزيّة، ومن أصحاب البشرة البيضاء والسّمراء على حدّ سواء.

إنّ التّلفزيون الجزائريّ في حاجة ماسّة إلى إعادة هيكلة تضمنُ له إدارة مسؤولة وواعية وحكيمة، وتوفّرُ للصّحفيّين نظام عمل، تحفيزات ومكافآت ورواتب، عادل ومناسب.. **إعادةُ هيكلة كاملة تجعلُ كلّ شيء فوق الطّاولة، وتعيدُ الاعتبار للكفاءة والنّزاهة كَشَرْطَيْنِ أَسَاسِيَّيْنِ وَوَحِيدَيْنِ لِلِاسْتِمْرَارِ فِي الْعَمَل**، فتختفي تلقائيا تلك التّوصيات القادمة من مكتب هذا المسؤول أو ذاك.. ويومها سوف يعرف كلّ صحفيّ حجمه.. فيجتهد ويبدع.. أو يبحث عن مكان آخر يحصّل منه راتبه، فالرّزق على الله، ومؤسّسة التّلفزيون ليست جمعية خيرية.

2011-10-01

اَلْغَائِبُ الْأَكْبَرَ

في أعقاب ندوة شاركتُ فيها وصلني سؤال مكتوب من أحد الحاضرين، وجلّهم من الطّلبة، عن تصوّري لِعَالَمٍ بِلَا تِلْفَاز، وكان السّؤال مفاجئًا فعلا لأنّني لم أدرك مغزاه حقيقة.. هل يعيشُ صاحبُه في الطّرف المؤيّد لهذه الثّورة المرئيّة العارمة فيكون السّؤال دَعْمًا لإنجازات الإنسان في هذا المضمار..؟ أم أنّه ساخطٌ على ما وصلت إليه الإثارة التّلفزيونيّة وما جَنَتْهُ على القِيم الأصيلة والعادات والتّقاليد الرّاسخة منذ القِدم..؟

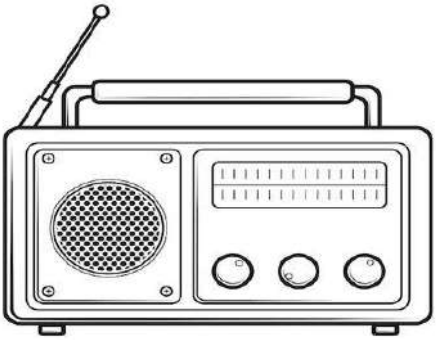

أثناء جواب أحد زملاء النّدوة عن الأسئلة الموجّة إليه اهتديتُ إلى فكرة ربّما تكون الجواب الأصوب لمثل هذه الأسئلة..

كانت ورقتي في النّدوة حول الوسائل المعاصرة ودورها في الإصلاح الاجتماعيّ، وقد توسّعتُ في الحديث عن دور التّلفزيون والإعلام (القديم)، وأخطر منه دور ما صار يعرف بالإعلام الجديد، الذّي وُلد من رَحِمِ عالم الأنترنت، كالفيس بوك، وتويتر، ويوتيوب...

قلتُ في جوابي:

إنّ الأقدر على تصوّر عالم بلا تلفاز هو روائيٌّ متمكّنٌ يستطيع الغوصَ في عوالم النّاس المختلفة، وزوايا حياتهم المتعدّدة، وبالتّالي يرسمُ لنا صورةً أقرب إلى الحقيقة عن ذلك العالَم الذّي يفتقدُ التّلفازَ والصّورةَ فجأة، بعد أن أَلِفَهَا سنوات طويلة وصارت أشبه بالعمود الفقريّ في ثقافته وأخباره واقتصاده وسياسته وسِلْمِه وحربه..

وقلتُ بعد ذلك إنّ الإجابة عن هذا السّؤال يمكن أن تكمن في أحشاء أسئلة أخرى من قَبِيل: هل يمكن تصوّرُ عالَم معاصر بلا عجلة بعد اكتشاف الإنسان لهذه الوسيلة ومساهمتها في تقدّم البشرية..؟

وهل يمكن تصوّر عالَم بلا ورق وطباعة..؟

وهل يمكن تصوّر عالَم بلا آلات بخارية..؟

وعلى هذا المنوال، وانطلاقا من التّلفزيون الأرضيّ إلى ما بعده وهو الفضاء المليء بالأقمار الاصطناعية الزّاخرة بكلّ ألوان الطّيف؛ ندرك حجم الهوّة التّي نعيش فيها عندما تظلّ قضية السّمعيّ البصريّ في الجزائر تراوحُ مكانها لأسباب ما زالت عصيّة على أفهام المتخصّصين والمراقبين فضلا عن المواطنين العاديين.

إنّنا على أعتاب انتخابات مفصليّة بكلّ معنى الكلمة، وقد حضرت فيها السّياسة والسياسيّون، وحتّى أشباههم، وبرزت القوائم والبرامج، وظهرت إلى السّطح موائد طويلة عامرة سواء بمعناها الحقيقيّ أو المجازي..

لكن الغائب الأكبر هو الإعلام (الثّقيل) كما شاع هذا المصطلح في الجزائر، وما هو بثقيل في الحقيقة لأنّ دولا أقلّ منّا ثقلا في جميع الجوانب (استخفّت) هذا (الثّقيل) وصار حمُله وإشاعتُه متاحٌ لكلّ من أراد، وحتّى من هبّ ودبّ في بعض الدّول العربية..!

تَجَمَّعَ في الآونة الأخيرة عددٌ من الصّحفيّين في إحدى ولايات الجنوب الجزائريّ، وَحَضَرَ معهم ضيوفٌ من دول عربية ومغاربيّة، ودار الحديثُ طويلا حول موضوع السّمعيّ البصريّ في الجزائر..

وسوف أنقلُ بعض ما دار من انطباعاتِ وأسئلةِ وصرخاتِ المشاركين، على اختلاف زوايا النّظر والخلفيّات والتّجارب:

"إذا لم تفتحوا هذا المجال فسيجد طريقه إلى الفضاء من الخارج وقد يكون أشدّ قسوة على الخائفين، وأكثر تحريضا عليهم.. أن تتحوّل بعضُ الصّحف إلى الفضاء، فهذا جميل وعاديّ لكنّ المشكلة أن تتحوّل بالعقليّة نفسها والضبابيّة وغياب الرّسالة الوطنيّة الواضحة والسّاميّة التّي تعصمُ المسيرةَ من الوقوع في خفّ الإثارة شبه المطلقة.. المؤسّسات الإعلاميّة والمسؤولية ومفهوم المواطنة.. تجربة ثمانين صحيفة يوميّة في الجزائر هل هي قيمة مضافة أم عكس ذلك.. هل سينعكس الأداء السّلبيّ في الصّحافة المكتوبة على عالَم الفضائيات الجزائريّ المرتقب.. هل الجهات الوصيّة جادّة في فتح مجال السّمعيّ البصريّ، تساؤل طُرح أكثر من مرة، وكان الردّ والتّعليق دائما أنّ هذا السّؤال لم يُعد مستساغا على الإطلاق"..

كلامٌ كثيرٌ تداوله الصّحفيون وكان الأمل في فضاء مفتوح هو القاسم المشترك، وجاءت التّوصيات لتلخّص جميع الحكايات:

"التّعجيلُ في تحرير الفضاء السمعيّ البصريّ في الجزائر ودخوله حيّز التنفيذ.. إنشاء مدينة إعلاميّة مغاربيّة.. تطوير التّبادل والتّعاون

في مجال التّكوين والخبرات بين الإذاعات والفضائيات المغاربيّة.. التّواصل مع الخبرات المهنية المغاربيّة المهاجرة...".

وبعد.. علينا أن ندرك حجم المشكلة، وأن نشعر بالحزن والأسى لأنّنا على أبواب حملة انتخابيّة تغيبُ عنها الفضائيات الجزائرية المرتقبة، ومع ذلك نتمنّى أن تكون هذه الفضائيات حاضرة بقوّة عبر حديث الأحزاب والقوائم حولها وإطلاق وعود صادقة بالعمل على تحريرها لتضيء سماء الجزائر، وتكون علامة فارقة من علامات المرور إلى التّغيير السّلميّ الشّامل الذّي نتوقُ إليه بعد انتخابات العاشر من ماي.

من مأثورات اَلْمَهَاتْمَا غَانْدِي قوله:

"إنّني لا أريدُ أن ترتفع الجدران من كلّ جانب حول بيتي، ولا أن يُحكم إغلاق نوافذي.. إنّني أريدُ أن تهبّ ثقافةُ كلّ أرض حول بيتي بأقصى قدر من الحريّة، لكنّني أرفضُ أن تقتلعني ريحُ أيّ منها من جذوري".

وعلى منوال غَانْدِي لا بدّ من التّأكيد على أنّ السماء المفتوحة فُرضت على الجزائريين وانتهى الأمر، وَشَايَعَ وَبَايَعَ قسم من المواطنين هذه القناة العربية، وَشَايَعَ وَبَايَعَ قسمٌ آخر منافسةً لها، وفي أيدي أطفالنا جهازُ تحكّم يتنقّلون به بين القنوات الخاصّة بهم، وما

أكثرها، ويهيمُ قسم من الشّباب على وجوههم بين قنوات رياضية وغنائيّة متعدّدة.. فأين نحن في جميع تفاصيل هذا العرس الإعلاميّ المتنامي...؟؟

يصعبُ أن يظلّ بيننا من يدعو إلى الانغلاق التّام، والانكفاء على الذّات، ورفع الجدران على حدّ تعبير غَانْدِي، **لكنّنا نريدُ جدرانًا متوسطةَ الحجم تتيحُ لنا مرور نسمات الهواء وتحمينا في الوقت ذاته..** نريد إعلاما يعكسُ شخصيتنا ويُعلي من شأن تراثنا ويقدّمُ ما لدينا إلى الآخرين، ويشخّصُ مشاكلنا بموضوعية وشفافية ومهنيّة.. ولا بأس أن نتابع معه، وقبله وبعده، قنوات عربية وأجنبية أخرى، فنحن جزء من هذا العالَم القريب والبعيد شئنا أم أبينا.

2012-04-07

اَلْمِحْوَرُ الثَّانِي
مَقَالَاتٌ عَلَى ضِفَافِ الثَّقَافَة (1)

المقال 1: دعوة لثقافة السّيّاقة الرّاقيّة..
المقال 2: ثقافة احترام الطّريق.. مِلْكِيّة عامّة..
المقال 3: ثقافة الحرص على الأمن المجتمعيّ..
المقال 4: ثقافة العلاقة الإيجابيّة بين المواطن ورجل الأمن..
المقال 5: ثقافة التّصدّي الجَماعيّ للمفاسد..
المقال 6: نشر ثقافة محاربة الفساد..
المقال 7: ثقافة احترام القانون واللّوائح..
المقال 8: ثقافة التّعايش مع الفساد.. إلى متى؟
المقال 9: ثقافة سياقة الذّوق والاحترام..

نَحْوَ سِيَاقَةِ التَّرْفِيهِ وَالْمُتْعَة

كان الجسرُ ضيّقًا ولا يسعُ إلا سيّارة واحدة، وحَدَثَ أنّ سيّارتيْن وَصَلَتَا إلى طَرَفَيْ الجسر في وقت واحد.. كان سائقُ الأُولَى بريطانيًا وسائقُ الثّانية فرنسيًا، وكان على أحد السّائقيْن أن يتنازلَ ويعودَ أَدْرَاجَهُ ليفسحَ الطّريق للآخر، لكنّهما أَصَرّا على عدم التّراجع ومن ثمّ التّسَمّر بالسّيّارة في المكان الذّي توقّفت فيه.

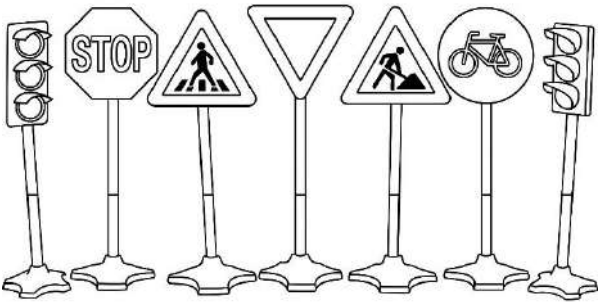

أَمْعَنَ الفرنسيُّ في عِنَادِهِ فأوقف محرّك السّيارة وراح يطالع كتابًا مُبْدِيًّا عدم الاكتراث التّام بالأمر.. وبعد فترة فتحَ البريطانيّ بابَ سيّارته وترجّلَ باتّجاه الفرنسيّ..

ظنّ الأخيرُ أنّ الغضبّ قد أخذ بِخِنَاق غريمه، وإذا بالرّجل يخاطبه بهدوء: لطفًا.. عندما تُنْهِي قراءةَ الكتاب أَعِرْنِي إيّاه لِأَقْرَأَهُ.. وعاد أَدْرَاجَه إلى سيّارته..!!

هي طُرفة.. لكن ما أحوجنا إلى بعض ذلك البرود في جزائرنا ونحن نقودُ عرباتنا في طرقاتنا الجيّدة منها، والسّيئة السّمعة المليئة بالمطبّات المدروسة والعشوائية، والحُفَر والنّتوءات الأشبه بالنّباتات الفطرية في سرعة الانتشار وحجم المساحات التّي تشغلها في طرقنا وشوارعنا..؟

أسوقُ هذا الكلام وإحصائيات مصالح الدّرك الوطنيّ تتحدّثُ عن أرقامٍ مخيفةٍ ومجازر حقيقيّة تحدثُ في طرقاتنا على مدار العام بسبب حوادث السّير، حيث صارت بلادنا ضمن الدّول ذات التّرتيب المتقدّم في عدد حوادث المرور، والحمد لله الذّي لا يُحمد على مكروه سواه.

ثلاثون في المائة من حوادث السّير هذه يقف وراءها عاملان هما السّرعة المفرطة والتّجاوزات الخطيرة..

وللتخلّص من العَامِلَيْن المذكورين يحتاجُ السائق إلى برودة أعصاب، وصمود أمام إغراءات السّرعة، خاصّة بالنّسبة للسّيارات الجديدة والسّريعة جدا.

إذن.. مرّة أخرى ما أحوجنا إلى بعض ذلك البرود الإنجليزيّ، وليس كلّه طبعا، فما زاد على حدّه انقلب إلى ضدّه.

إنّ ما يحدثُ في الطّرقات وما يتصرّف به سائقو السّيارات يمثّل أحد المرايا العاكسة التّي ندرك من خلالها مدى تقدّم المجتمعات، ومقدار التزامها بالأخلاق والأذواق الرّاقية..؟

وقد أعجبني، في هذا السّياق، كلام جميل في أحد الكتب المتداولة في مدارس تعليم السّياقة:

(السّياقةُ سلوكٌ ومرآةٌ لشخصية أيّ فرد، والطّريقةُ التّي تقود بها سيارتك دالّة على نفسيّتك، هل هي هادئة، مضطربة، أم معقّدة؟ وكذلك تفكيرك هل هو نيّر، منفتح، اجتماعيّ الطّبع أو منغلق أنانيّ رافض لأيّ اختلاف؟ وفي الخلاصة السّياقة قبل أن تكون علما ومهارة، فهي قبل كلّ شيء أخلاق. قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾.. فلذلك على كلّ واحد منّا سواء كان سائقا أو راكبا أو ماشيا، أن يعطي الطّريق حقّها - كما علّمنا الإسلام- ولا يضرّ أحدٌ منا الآخر،

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾).

نعم.. السّياقة ذوقٌ وأخلاقٌ ومرآةٌ عاكسة لشخصيّة السّائق قبل أن تكون مهارة واستعراض عضلات وضغطًا على دوّاسة البنزين، وهكذا فإنّه بقدر ما تزداد المظاهر السّلبية في طرقاتنا؛ نزيدُ بعدًا عن الذّوق السّليم والخلق الرّفيع، وبالمقابل كلّما ارتفعت نسبُ السّائقين الهادئين المتّزنين المراعين للآخرين؛ كنّا في الطّريق الصّحيح المؤدّي إلى الأفضل والأحسن في جميع المجالات.

ترى من بين سائقي السّيارات من يؤذي الآخرين بمزماره الحادّ دون سبب وجيه، ويدخل أمامهم في الطّريق السّريع بشكل مفاجئ، فيخيفُ الكثيرين ويزعجهم، والبعض سريع وخفيف في حركات يديه ورجليه ولعلّه شجاع أكثر من المطلوب، حتّى لا نقول إنّه متهوّر، ولهذا يريدُ من الجميع أن يقتحموا مثله التّقاطعات والدّوّارَات، ويريدُ منهم أن لا يحتاطوا وهم يلِجُون الطّرق أو يدورون يمينًا ويسارًا كما يفعل هو بالضّبط..!!

حَالُ الكثيرين في السّياقة متواضعٌ وحَالُ كثيرٍ من السّيارات متواضعُ أكثر، وهكذا نرى من يخفّضُ السّرعةَ تماما في المناطق المتضرّرة من الطّريق وإن لم يفعل سيضطرّ لزيارة محلّ قِطع الغيار

وورشة التّصليح، فتضطربُ بالتّالي ميزانيةُ الشّهر، وآخرون يتمتّعون بنعمة السّيارة الجديدة والسّيولة التّي تمكّنهم من التّجديد والعيش مع الجديد دائما، وبالتّالي لا يبالون كثيرا بالحُفر والمطبّات، ويريدون من الجميع أن يجاروهم في ذلك..!!

والكلام يطول حول المظاهر السّلبية التّي نشاهدها في الطّرقات.

قد نقطعُ أشواطًا معتبرةً في تجديد نوعيّات سيّاراتنا، وتتحوّلُ طرقاتنا إلى مزيج من الألوان والأشكال الجميلة لموديلات من كلّ أصقاع الدّنيا، لكنّنا لن نبرح مكاننا إذا لم يتغيّر سلوكُ ذلك السّائق الجالس وراء المقود، ولقد أبدع أبو الطّيب المتنبّي حينما قال:

وما تنفعُ الخيلُ الكِرامُ ولا القَنَا إذا لم يكن فوق الكِرَامِ كِرَام.

نعم.. لن تنفع الخيل الأصيلة وحدها في ميدان الحرب والنّزال إذا لم يكن على ظهورها فرسان كرام..

ولن تنفع سياراتٌ جميلةٌ باهظةُ الأثمان إذا لم يقم على شؤونها وقيادتها سائقون **تزدحمُ نفوسهم بالأخلاق الكريمة، وتعلو على شفاههم ابتسامات عذبة، وتفيضُ تصرّفاتهم نُبْلًا وتسامحًا وصبرًا وهدوءًا واحترامًا للغير..**

عندما يكثرُ أمثالُ هؤلاء سوف تتقهقرُ مرتبةُ بلادنا دوليا، في مجال حوادث المرور، إلى الدّرجات الدّنيا، وتتحوّلُ السّياقةُ في طرقاتنا إلى رحلات ترفيهيّة ومُتع حقيقيّة.

2008-08-07

اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ بَعِيدًا عَنَّا

دَخَلَ إلى المطعم وأشعلَ سيجارةً وراح يدخّنها على مَهْلِه ويراقبُ دخانها المتصاعد حتّى يتلاشى.. بَدَأَ روّادُ المكان يغادرون الواحد تلو الآخر.. غادروا محتجّين ولكن دون صخب أو ضجيج.. كان كلّ منسحب يميلُ بهدوءٍ وأدبٍ تامّ ويضعُ ورقةً أمام الْمُدَخِّن ويواصلُ طريقه إلى الخارج.

لم يتوقّف المشهدُ عند هذا الحدّ... فلم يلبث الرّجل المدخّنُ أن استيقظ إلى نفسه وحاله، وعاد من حالة السّرحان مع سيجارته ودخانها المتصاعد، وراح يقرأُ الوريقات ورقةً تلو الأخرى..

إنّها عبارةٌ واحدةٌ مختصرةٌ ومفيدةٌ ومباشرةٌ جدا.. ومعناها لا يقبلُ التّأويل والتّخمين: أقتل نفسك بعيدا عنا...!!!

الأمرُ لم يكن مجرّد مشاهد تمثيلية مُخرجَة بإتقان، لكنّها تجربة حقيقيّة قام بها عدد من الشّباب النّاشط في مجال مكافحة التّدخين بإحدى الدّول، ونقلتها قناة فضائية عربية هادفة.

بعض المصابين بآفة وداء التّدخين يعتقدون أنّ هذا الأمر مسألة خاصة جدا، لكن تعقيدات الحياة المعاصرة وتزايد الأمراض والمشكلات تجعل من التّدخين مسألة عامة تهمّ المجتمع كلّه وتؤثّر في حياة الكبير والصّغير والبعيد والقريب على حدّ سواء، وحتّى لو التزم شخصٌ ما بالتّدخين في غير الأماكن العامّة واحترم جميع القوانين والقواعد الأخلاقية في معاملة الآخرين؛ فلا بدّ أن يرهق نفسه في النّهاية، ويدّمر صحّته ويضيف عبئا جديدا على المجتمع ومصالح الصّحة العمومية حيث يكلّفها علاجه أو علاج أولاده الذّين ربّما ولدوا بأمراض سببها التّدخين السّلبيّ داخل البيت والسّيارة.

وَلِنَدَعِ التّدخين جانبًا الآن مع تداعياته الخطيرة، وننتقل إلى نوع آخر من القتل المباشر الذّي تشهده بلادنا هذه الأيّام، وهو ما صار يعرف بإرهاب الطّرقات، لنرى إن كنّا أيضا في حاجة إلى عبارة: أقتل نفسك بعيدا عنا..؟؟

مظاهر مزعجة تتكرّر يوميا في الطّرقات السّريعة والعاديّة على حدّ سواء..

سرعةٌ فائقةٌ في مكان كان ينبغي أن تُمنع السّيارات من المرور أمامه، أو أن يكون في الأصل بعيدا عن الطّرقات العموميّة المزدحمة..

ودورانٌ وتجاوزٌ لا يراعي القواعد المرورية، وتوقّفٌ في غير مكانه المناسب يضيّق على الآخرين طريقهم ويعطل مسارهم ويسبب زحاما شديدا..

ومظاهر أخرى كثيرة يتفنّن كثيرون في رسمها لتكون السّمة المميّزة لطرقاتنا وشوارعنا وساحاتنا وتساهم يوميا في حصد أرواح بريئة..!!

جاء في تقديم أحد الكتب المتداولة في تعليم السّياقة بالجزائر العاصمة الكلام الآتي:

(السّياقة سلوك ومرآة لشخصية أيّ فرد، والطّريقة التّي تقود بها سيارتك دالّة على نفسيّتك، هل هي هادئة، مضطربة، أم معقدة؟ وكذلك تفكيرك هل هو نيّر، منفتح، اجتماعيّ الطّبع أو منغلق أنانيّ رافض لأيّ اختلاف؟. وفي الخلاصة السّياقة قبل أن تكون علمًا ومهارةً فهي قبل كلّ شيء أخلاق. قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾. فلذلك على كلّ واحد منا سواء كان سائقا أو راكبا أو ماشيا، أن يعطي الطّريق حقها -كما علّمنا الإسلام- ولا يضرّ أحدٌ منّا الآخر، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾. فالطّريق مرفق من المرافق العامة، وكلّنا مسؤولون وكفانا من إتلاف الأنفس والمال ولنتخلّق بأخلاق الإسلام ولنرطّب ألسنتنا بالكلام الطّيّب، ولنملأ قلوبنا بالنّور ولنقل في كلّ صباح ومساء: "بسم الله الذّي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السّماء وهو السّميع البصير"، فمن قالها ثلاث مرّات في اليوم لم يضرّه شيء، وعندما نركب سيارتنا نقول: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾).

منظومةٌ أخلاقيّةٌ متكاملة تلك التّي تحدّث عنها الكتاب، ومن رغب في التفاصيل فيمكنه القراءة أكثر في كتب الأخلاق

ومعاملة الآخرين ومراعاة الذّوق العام الإيجابيّ الذّي ينبغي أن يسود مجتمعاتنا.. في البيت والشّارع والسّوق ومكان العمل، وقبل ذلك وبعده في الطّرقات حيث نقضي وقتا ليس باليسر مسافرين أو متّجهين ومغادرين لأعمالنا وأسواقنا ومؤسّساتنا.

إنّ المظاهر السلبية التّي نعاني منها في طرقاتنا هي نتائج لمقدّمات ومعطيات صنعناها بأنفسنا وساهمنا فيها أفرادا ومسؤولين؛ فسيّارة فارهة وشاب غير مسؤول لا يردعه خلق ولا يخاف القانون، ورجل أمن عاجز عن توقيف أمثال هؤلاء لأنّه يخاف من مكالمة هاتف جوّال في يد شابّ مغرور متهوّر تقلبُ الحقَّ باطلاً والباطلَ حقًّا..؟

ستكون النّتيجة واضحة جدا، وهي أن يفعل الشّبابُ المتهوّرُ في طرقاتنا ما شاء بمن شاء وكيف شاء ومتى شاء..!!

إنّ ما نريده من شبابنا هو العقل والحكمة ومراعاة الآخرين والبرود الإيجابيّ أثناء السّياقة، **وإذا أصرّ البعض على غير ذلك فلينتبهوا أنّ الطّريق حقّ عام وملك مشاع للجميع، وليس ملكية خاصّة لفلان أو علان** حتّى لو كان من أبناء "الكبار" الذّين قد يعتقدون خطأ أنّ البلاد لهم بما عليها، وأنّهم فوق القانون والأخلاق..!!

إنّ الجميع شريك في الطّريق، ولا فرق في ذلك بين مالك سيارة المليار ومالك سيارة الخمسة ملايين، وحتّى مع مالك العربة التّي يجرّها الحمار في الطرق الغابية والرّيفية، وعليه فمن كان مصابًا بداء العربدة في الطّرقات فأمامه منتصف اللّيل حيث تسكنُ الحركةُ تماما وليطلق لسيّارته العنان ويواجه مصيره بنفسه ويذق طعم الموت والنّاس في أمان منه...

إنّه سلوك ومصير لا نتمنّاه لأحد، لكنّ الذّين يأبون غير ذلك.. لا خيار أمامنا سوى الصّراخ في وجوههم: أقتلوا أنفسكم بعيدا عنا.

2008-12-11

حَتَّى لَا نَحْصُدَ الزَّوَابِع

ضَحِكَاتٌ وقَهْقَهَاتٌ وتبادلٌ للقُبُلات وفَرَحٌ عارمٌ بتلك المستويات القياسيّة العاليّة التّي بلغتها عمليّات توزيع البضاعة هذا الموسم.. هكذا تخيّلتُ ما يدور في إحدى جلسات البَارُونَات خلال ليلة المولد النّبويّ الشّريف هذا العام.. تلك اللّيلة الطّيّبة المباركة التّي ضاعت معالمها بين انزواء الطيّبين ومخطّطات المستورِدين الطّائشين.

بعد العشاء مباشرة، في تلك اللّيلة اللّيلاء، صعدتُ إلى السّطح لأستطلع الصّورة الجديدة لِلَيْلَة الميلاد الشّريف..

الصّورةُ التّي رسمها بارونات الاستيراد، وكلّ من ساعدهم أو سكت عنهم أو غضّ الطّرف حتى يمرِّروا ما يريدون بسلام ووئام..؟

شاهدتُ حجمَ المفرقعات الرّهيبة التّي تضيءُ سماء العاصمة، وتأسّفتُ على مقدار الأموال التي تُحرق والطّاقات التّي تُهدر والحماقات التّي تُرتكب تحت ذريعة المولد النّبويّ الشّريف..!!

أدركتُ مقدار الدّركات التّي هوت إليها فئاتٌ من المجتمع عندما سارت طواعيةً وراء إغراءات البارونات، وَشَوَّهَتْ صورة الاحتفال بمولد رسول الخير والسّلام والأمان..!!

شَوّهَتْهَا حين حَوّلَتْهَا إلى مناسبة للرّعبِ والاعتداءِ على حرّيات الآخرين وحقّهم في نومٍ هادئٍ، وَسَيْرٍ آمِنٍ في الشّوارع والطرقات..

لقد صار البعض يحجمُ عن الخروج ليلة المولد خوفًا من تلك المفاجآت الرّعناء التّي تصدرُ عن السّفهاء ويسكتُ عنها الأولياء..!!

لقد كانت الصّورةُ قاتمة جدا هذا العام، وأكثر من الأعوام الماضية، حين تحوّلت هذه المناسبة الدّينيّة، العزيزة على قلوبنا، إلى تجارة موت تستهدفُ أطفالنا الأبرياء الذّين تعرّض الكثيرون منهم

لإصابات خطيرة أدّت إلى بتر أصابع وتشويه عيون، وحتّى فقدان البصر نهائيا..!!

وما يختزنُ في الذّاكرة الجَمعيّة للأجيال أدهى وأمرّ؛ فصورة المولد النّبويّ الشّريف عند الأجيال الصّاعدة يُريد لها بعضُ المشبوهين أن تكون مرادفةً للعنف والرّعب بحجّة واهية وهي الفرح والمتعة..!!!

والنّتائجُ طبعا، لا سمح الله، هي السّير على طريق العنف واللّامسؤوليّة وخلط الأولويات والاستهانة بالمقدّسات.

تَسَاءَلَ البعضُ عن الجهة المسؤولة عمّا حدث، وأثار آخرون الخلافَ الدّائرَ حول هذه المسؤولية، وهل هي أَمْنِيّة تضطلع بها وزارة الدّاخلية، أم تجاريّة تعود إلى سلطات وزارة التّجارة وإدارة الجمارك..؟؟

وقد يطولُ الجدلُ لو انطلقت مساءلاتٌ حقيقيةٌ في هذا الإطار، وقد يتفرّقُ دم "المولد المغدور" بين "قبائل التّوازنات والمعادلات الحكومية" ويأتي إلى دنيا النّاس ما ينسيهم، أو يُؤتَى لهم بما يشغلهم، كما عوّدتنا التّجارب والأحداث السّابقة..؟؟

لكنّ المسؤوليةَ الواضحةَ للعيان دون أدنى ريب هي تلك الملقاة على كاهل الشّعب بأكمله، فالمواطنُ يتحمّلُ نصفَ الوِزْر أو أكثر بعد أن رَضِيَ لنفسه الانخراطَ في مخطّطات المشبوهين وتجارتهم القذرة.

عائلاتٌ كاملةٌ وأطفالٌ ومراهقون وشباب يتوافدون على طاولات بيع المفرقعات والألعاب النّارية، ورغم الأسعار العالية يشتري هؤلاء ويتزوّدون بما يريدون من شتّى الأصناف..!

ويحتجُّ الكثيرون بأنّهم يريدون إدخال الفرحة على قلوب أبنائهم، ويبالغُ البعضُ فيصرفون أموالا طائلة، ويشتطُّ أثرياءُ في الاستعداد لمعارك المولد فيشترون لأولادهم مفرقعات بمبالغ باهظة جدا وصلت عند أحدهم إلى ثلاثين مليون سنتيم..!!!

وتدخلُ في مثل هذه المناسبات عوامل التّفاخر والتّباهي والتّعالي الكاذب، فَتُلْهِمُ السّفهاءَ سفاهاتٍ وتفاهاتٍ وسخافاتٍ أبلغ، فيزداد الطّينُ بِلَّة..!!

المسؤوليةُ لا تقعُ على عاتق إدارات الدّاخلية أو الجمارك أو التّجارة بقدر ما تقع على الشّعب بكامله، خاصّة النّخب الواعية وواجهات ومؤسّسات المجتمع المدنيّ الحقيقيّ..

والمطلوب بإلحاح هو ألّا تمرّ هذه الأحداث مرور الكرام، فالنّظر في واقع النّاس، وإلى أين ينحدرون، صار واجبًا على جميع العقلاء والحكماء، خاصّة أولئك الذّين يجمعون بين السّلطة والحكمة، وإن بدا للبعض أنّهم غائبون أو مُغيّبون.

إنّ أهداف البارونات باتت واضحة لا لبس فيها، وشعارهم لم يعد خافيا على أحد ومذهبهم المِكْيَافِيلِّي هو السّائد بينهم عبر إيمانٍ راسخٍ ويقينٍ لا يكاد يتزعزع.. حيث الغاية عندهم تبرّر الوسيلة، مهما كانت تلك الوسيلة ودرجة قذارتها، فهي مشروعة عندهم ما دامت تؤدّي إلى الهدف وهو الرّبح والمال الوفير..!!

ما أسهل أن يقول المواطن: وما دخلي..؟ وما عساي أن أفعل..؟

لكنّ الحقيقة أنّ الذّين أغرقوا السّوق بالمفرقعات وحوّلوا حياة النّاس إلى جحيم وبدّلوا معالم السّلام في مولد رسول السّلام، صلى الله عليه وسلم.. الحقيقة أنّ هؤلاء لن يتورّعوا مستقبلا عن أيّ شيء آخر يؤدّي إلى "غايتهم المقدسة" وهي الدّرهم والدينار..

لن يتردّدوا في إغراق السّوق بمواد وسموم أخرى تؤدّي إلى مآسٍ ومصائب تقضي على مقوّمات الشّعب وأخلاقه وتدمّر مستقبل شبابه.. ولن يكون هناك استثناء حينها فالجميع معرّض لشرر النّار وحتّى لهيبها.. ونندمُ بعد ذلك حينما لا ينفع النّدم.. ونجني أشواك سكوتنا السّلبيّ.. ونتذكّر بحسرة أن "من زَرَعَ الرّيحَ حَصَدَ الزّوَابِع".

الجميع معنيّ بهذا الأمر، وسفينة النّجاة تسعُ الجميع إذا شاركنا كلّنا بإخلاص في تشييدها وحافظنا عليها.. قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلم:

(مَثَلُ القائِمِ علَى حُدُودِ اللَّهِ والواقِعِ فيها، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا علَى سَفِينَةٍ، فأصابَ بَعْضُهُمْ أعْلاها وبَعْضُهُمْ أسْفَلَها، فَكانَ الَّذِينَ في أسْفَلِها إذا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ مَرُّوا علَى مَن فَوْقَهُمْ، فقالوا: لو أنَّا خَرَقْنا في نَصِيبِنا خَرْقًا ولَمْ نُؤْذِ مَن فَوْقَنا، فإنْ يَتْرُكُوهُمْ وما أرادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وإنْ أخَذُوا علَى أيْدِيهِمْ نَجَوْا، ونَجَوْا جَمِيعًا). صحيح البخاري.

2009-03-12

دَعُونَا نَحُسُّهُ دُونَ أَنْ نَرَاه

كانت هناك أزمة مواصلات، ولم يتمكّن صاحبُ الحافلة الطّيّب من حَبْسِ نَفْسِهِ عن التّعاطف مع بعض المسافرين الذّين زادوا عن العدد القانونيّ المسموح به لذلك النّوع من الحافلات العابرة بين الولايات.. كان في حيرة فَطَمْأَنَهُ أحدُ الرّكاب بأنّه سوف يتصرّف مع الشّرطة إذا تعرّض لأيّ مساءلة.

وسارت الأمورُ على ما يرام، وهاهو السّائقُ عند أوّل حاجزٍ لشرطةِ المرور، ولم تكن المساءلةُ بعيدة عن المركبة، وهناك نزل ذلك الرّاكبُ الشّهمُ لِيَفِيَ بوعده للسّائق الحيران..

كان معلّمًا ابتدائيًّا، وقد تفاجأ الشّرطيُّ بالأمر فقال له: من أنت حتّى تغادر مكانك وتتجرّأ على الحديث معي في أمر لا يخصّك..؟؟

فردّ ببساطة: مواطنٌ جزائريٌّ عاديٌّ..

قال رجل الأمن: ألا تخاف..؟

ردّ المعلّمُ بهدوء كامل: يسمّونكم رجال الأمن، وهذا يعني أنّ مجرّد الاقتراب منكم يُشعرُ المواطنَ بالأمن والأمان، فكيف تريدُ من الخوفِ أن يجدَ سبيلًا إليّ وأنا في محيطكم..؟!

استغرب الشّرطيُّ من جواب الرّجل أو فلسفته التّي لم يَعْتَدْهَا من قبل.. وتجنّبًا لمزيد من الحرج أشار إلى سائق الحافلة لينطلق سالمًا غانمًا.

أسئلةٌ كثيرةٌ تطلّ برأسها دائما في هذا السّياق، لعل أبرزها حول تلك العلاقة الطبيعيّة المطلوبة بين رجل الأمن والمواطن العاديّ من جهة، وبين رجل الأمن وأيّ مسؤول مهما عَلَتْ درجته وبلغت سطوته..؟؟

العلاقةُ الأولى هي علاقة احترام وثقة وتقدير وتعاون، بل ومحبّة بين الطّرفين، لأنّ المواطن في حاجة إلى رجل الأمن الذّي يسهر على توفير المناخ الآمن، ورجل الأمن في حاجة إلى ذلك المواطن الذّي يشعره بأهمّيته وقيمته في خدمة الوطن والمواطن، بل ويتعاونُ معه بشكل إيجابيّ ليسهّل عليه المهمّة ويختصر له الوقت.

والعلاقةُ الثّانيةُ هي علاقة قانون وهيبة دولة، لأنَّ رجلَ الأمن، مهما كانت رتبته البسيطة، يمثّلُ القانون وسيادة الدّولة في الأساس، وعندما يحترمُ المسؤولُ، مهما علا شأنه، سلطةَ رجلِ الأمنِ وقرارَه ولا يتعسّف في التّدخل من هنا أو هناك؛ فهو يعبّرُ عن ثقافته في احترام القانون والنّظام ويبرهن عن القطيعة بينه وبين عقليّة العصابات والمافيات التّي تسيطرُ على بعض المسؤولين في كثير من دول العالَم الثّالث..!!

تلك القطيعة إذا ما تحقّقت فإنّها تساهمُ بشكل مباشر في التّعجيل بذلك الْحُلُمِ الْجَمِيل: دولة القانون والنّظام الذّي يعلو على الجميع.

في هذه الأيّام تتضاعفُ حركةُ المواطنين إلى أضعاف كثيرة داخل الوطن خاصّة، فكلّ من توفّرت له المقدرة يبحث عن شهرٍ، أو بعض شهر، ليريح نفسه من عناء عام كامل من العمل، ويُدخل السّرورَ على أهله وأولاده وهو يتجوّل بهم في جهة من جهات الوطن

المترامية المتنوّعة مناخا ومعالم سياحية وآيات طبيعية وإنجازات خدميّة وعمرانية.

وفي هذا الصّيف أيضا هناك مواعيد كثيرة لعلّ أبرزها وأقربها المهرجان الثّقافيّ الإفريقيّ الثّاني بالجزائر، وهو مناسبة ينبغي أن يحسّ فيها الجميع بالأمن الحقيقيّ..

يحسّه المواطن والزّائر الأجنبيّ والشّقيق الأفريقيّ على حدّ سواء..

أَمْنٌ نشعرُ به في كلّ مكان وليس بالضّرورة أن نراه في كلّ منعرج أو زاوية أو مفترق طرق..

أَمْنٌ يجعلُ المواطنَ والسّائحَ في غنى عن الانشغال الدّائم بهاتفه النّقال ونقوده، وسيّارته أين يوقفها ومن يحرسها له من "فتوّات" الحظائر العشوائيّة التّي انتشرت كالفطر في الأحياء الصّغيرة والكبيرة والأسواق والعمارات السّكنية، وحتّى أمام المباني الحكومية التّي يُفترض أنّ من اقترب منها "فهو آمن".

مَرْحَبًا برجال الأمن وبأزيائهم المتنوّعة ودراجاتهم النّارية الجديدة منها والقديمة، وسيّاراتهم الفارهة منها والمتواضعة على حدّ سواء.. لكنّ الأمنَ في الدّول المتقدّمة يُقاس الآن بمدى طمأنينة المواطن فعليا بغضّ النّظر عن عدد أعوان الأمن المُشَاهدين في الشّوارع والطّرقات والسّاحات والأماكن العامّة..

والجزائرُ، بحجم الإنجازات التّي يتمّ الحديث عنها هذه الأيّام، ينبغي أن تكون ضِمْنَ الدّول المتقدّمة، وليست أقلّ منها في أيّ شأن من الشّؤون.

حدّثني قريبٌ لِي يكثرُ السّفر إلى دولة جارة لنا، وكان يفضّلُ السّفرَ ليلا في فصل الصّيف تجنّبا لطول الانتظار أمام بوّابة الدّخول... يقول إنّه ما إن يتجاوز الحدود بقليل، ويطمئنّ للأسف الشّديد، أنّه صار خارج التّراب الجزائريّ حتّى يبادر إلى وقف سيّارته قرب الطّريق ثمّ يبسطُ فراشًا على الأرض وينامُ هادئ البال حتّى توقظه أشعّة شمس الصباح، "لا يخاف إلا الله أو الذّئب على غنمه".. لو كانت معه غنم بطبيعة الحال.

الحقيقةُ السّاطعةُ تقول إنّ شواطئ بلادنا وإمكاناتنا السّياحية في الشّمال الجزائريّ، وباقي مناطق الوطن، أكبر وأجمل وأغنى بكثير من الدّول المجاورة، لكنّ الأمن والأمان الكامل، أو شبه الكامل على الأقلّ، هو الضّالة المنشودة في هذه الأيّام وباقي أيام وشهور العام.

وذلك الأمن المنشود هو التّرْمُومِتْر الفعليّ لقياس أيّ تقدّم لبلادنا في محاولاتها الجادّة للاصطفاف إلى جانب الدّول المتقدّمة.. **أَمْنٌ يحسّه المواطن أينما حلّ وارتحل داخل تراب بلاده دون أن يراه**

بالضّرورة على شكل آليات أو حواجز أو أعداد متزايدة من رجال الأمن..

كيف يتحقّق ذلك..؟؟.. الذّين يعنيهم الأمر يعرفون ذلك بالتّأكيد، وكلّنا أملٌ أنّهم في الطّريق إلى تجسيد ذلك ميدانيًّا، وفي أقرب الآجال.

2009-07-02

وَاجِبُنَا نَحْوَ سَقْفِنَا اَلْأَخْلَاقِيّ

الوقتُ بعد صلاة التّراويح، والمكانُ سوقٌ عامٌّ في مدينة صحراويّة يُفترض أنّها محافظة أكثر من غيرها، والمشهدُ مقزّزٌ ومنفّرٌ للغاية، وأبطاله عدد من الشّباب المتسكّع، والتّفاصيل المخزية تمثّلت في تجريد فَتَاتَيْنِ من بعض ثيابهما، حتّى لا نقول كلّ الثّياب، على مرأى من الجميع خاصّة أولئك الذّين يهمّهم الأمر أكثر من غيرهم.

الحادثةُ بتفاصيلها أوردتها إحدى الجرائد اليوميّة الوطنيّة، وكم كنتُ أتمنّى وأنا أقرأ الخبر، وأعيدُ قراءته، أن تكون القصّةُ برمّتها مجرّدَ فَبْرَكَةٍ إعلاميّةٍ ومبالغة مقصودة "لِحَاجَةٍ فِي نَفْسِ يَعْقُوب"، مهما كان هذا "اليعقوب".. فلا أحد يرضى أن تصل درجة الاستهتار بالآخرين، وحقّهم في الأمن والحركة والتّسوّق، إلى هذا الحدّ من السّفالة، وفي شهر مبارك يُفترض فيه أنّ الجميع، حتّى عُتَاة المجرمين ومحترفي الفساد، يلتزمون الحدّ الأدنى من تعاليم الدّين والأخلاق الكريمة والقوانين..!!

لكنّ الحقيقةَ كانت مرّة وظلّت كذلك، وهي أنّ الذّي تحدثّت عنه الصّحيفةُ حَدَثَ فعلا وتؤكّده أحداثٌ مشابهةٌ تتناقلها الألسُن ووسائل الإعلام من حين لآخر وعبر مختلف جهات الوطن، بل إنّ المشهد المذكور كان أفظع في بقية تفاصيله، حيث اعتدى الشّباب المتسكّع على سيّدة محتشمة وحاولوا نزع خمارها و"اعْجَارَهَا"، وعندما بادر شابٌّ إيجابيٌّ غيورٌ وحاول التّصدي للجناة، رفقة أشخاص آخرين، تعرّض لجروح لأنّ أولئك المتسكّعين استعملوا السّلاح الأبيض، حسب الخبر، مما يعني أنّ الجرأةَ بلغت بهم مبلغًا كبيرًا وأنّ الخوف من أيّ جهة مسؤولة، أو مراعاة حرمة النّاس والشّهر الفضيل، صار وراء ظهورهم..؟؟

فظاعةُ ومرارةُ الحادثة تدعونا إلى التّساؤل الجادّ حول الخطّ البيانيّ الذّي تسيرُ عليه وتيرة الأخلاق والسّلوك العامّ في بلادنا خاصّة خلال السّنوات الأخيرة..؟؟ وهل يتصاعدُ هذا الخطّ نحو الأعلى إيجابيا لنجد أنفسنا بعد سنوات وقد صارت الفضيلة هي الغالبة على الرّذيلة والخير هو الذّي يعلو على الشرّ..؟؟ وبالتّالي يتوارى الأشرارُ عن الأنظار ويخفّفون من شرورهم ويستحون منها، وإن اقترفوها كان ذلك في غفلة من عين الرّقيب الرّسميّ والشّعبيّ.

من حقّنا أن نتساءل بعد هذه الحادثة وغيرها إن كان لدى الجهات الرّسمية تصوّر عمليّ متكامل عن المنظومة الأخلاقيّة في البلاد..؟؟

ومن حقّنا أن نتساءل عن مدى علوّ "السّقف الأخلاقيّ" الذّي تفكّر فيه وتخطّط له الجهات المسؤولة (تشريعية وتنفيذية وقضائية وأمنيّة)، وبعدها الأحزاب السّياسيّة، خاصّة التّي تقول إنّها تقدّم مشروعات سياسية واجتماعية متكاملة، وبعد ذلك المجتمع المدنيّ بكلّ أطيافه، خاصّة تلك المنظّمات والجمعيات التّي تمثّل امتدادا لموروث تاريخيّ يتعلّق بالجميع وتعرف هي، قبل غيرها، أنّ الأخلاق الفاضلة كانت حجر الأساس في جميع الصّروح المعنوية الوطنيّة التّي شيّدتها الأجيال الماضية ونعتزّ نحن ونتغنّى بها اليوم.

لقد شهدت البلادُ، وتشهد، مشاريع ضخمة وإنجازات توصف بالتّاريخية ومنها مشروع الطّريق السّيار شرق غرب، وما يتبعه بعد ذلك من مشاريع مشابهة، ومشروع مليون سكن وغيرها من الأحلام الكبيرة القابلة للتّجسيد بإذن الله، لكنّ الحاجة تبدو ماسّة إلى مشاريع أكثر إلحاحًا كونها تتعلّق بالفرد وتكوينه الدّاخليّ وطريقة تفكيره ونظرته للحياة وكيفية تعاطيه معها:

في حاجة إلى مشروع مليون شابّ إيجابيّ متخلّق يستطيعُ أن يستخدم الطّريق السّيار بأدب وأخلاق ومسؤولية، ويسكن تلك البيوت ويكوّن للمجتمع أُسَرًا سويّةً تثمرُ ذريّةً صالحةً نافعةً تحسنُ فنّ البناء وخدمة الوطن وإعلاء شأنه والحفاظ عليه والتّضحية من أجله.

والأمر ليس صعبا عندما تلتحمُ النّوايا الطّيبة مع العزائم القوية، وعبر برامج تعليمية تعمّقُ الأخلاقَ وتغرسها كما تُغرس أشجار النّخيل والزّيتون، وتتمّ رعايتها وتنميتها من خلال التّلفزيون ووسائل الإعلام الأخرى.

إنّ ظاهرة الانفلات الأخلاقيّ ليست بالأمر الهيّن، وإذا أُصيب شعب في أخلاقه "فَأَقِمْ عَلَيْهِ مَأْتَمًا وَعَوِيلًا"..

وعليه لا بدّ من الانتباه إلى الإرهاصات والبدايات لنسارع إلى علاج الانحرافات الأوّلية التّي تظهر على الشّباب المراهق فهي التّي تتطوّر بعد ذلك إلى انحرافات خطيرة تصيب الجميع دون استثناء.. فمظهر الشّباب المتسكّع أمام الثّانويات، وحتّى الإكماليات، صار معتادا..!!

شباب ينتظر خروج الفتيات لمضايقتهن ومعاكستهن، بعضهم يركب درّاجات نارية، وحتّى سيارات فارهة أحيانا تدلّ على أنّ آباء هؤلاء الشّباب من أصحاب الشّأن الرّسميّ أو المال والجاه..!!

إنّها البداية التّي قد يراها البعض مجرّد مراهقة طفولية سرعان ما تتلاشى.. لكنّ الحقيقة المرّة أنّ مشهد المعاكسة أمام الثّانويات اليوم، قد يتطوّر غدا إلى أمور وقضايا أخرى أخطر، خاصّة أنّ القدوة السّيّئة حاضرة بقوّة، والجرأة على الجريمة تُكتسب مع مرور الأيام عندما لا يجد الشّاب ما يردعه ولو عبر نظرة مؤنّبة من شرطيّ، أو حتّى مواطن، تنبّهه إلى أنّ الطّريق التّي يسلكها ليست سليمة العواقب.

كثيرون يحرصون على ذلك السّلام والأمن المزيّف الذّي سرعان ما يزول، وذلك عندما يفضّلون التّصرف بسلبيّة تجاه الاعتداء على حريّة الآخرين، وينسى هؤلاء الكثيرون أنّ "الأيّام دُوَل"، وأنّ

الشّرور إذا استشرت وعمّت لن تستثني أحدا حتّى ذلك المنعزل الذّي ينشد "السّلامة" بإدمان السّير إلى جانب الجدران..!!

إنّ أوجب الواجبات الوطنيّة والدّينيّة علينا هذه الأيّام هي السّعي الدّؤوب نحو رفع مستوى "السّقف الأخلاقيّ" لتحقيق ذلك "السّلم الاجتماعيّ" الذّي تعيشه دول شقيقة قريبة وبعيدة، فضلا عن عواصم ومدن الغرب المتقدّم، حيث يحسّ المواطن أنه آمن تماما على نفسه وأسرته وسيّارته وبيته..

سِلْمٌ يتمثّل في احترام الجميع للحدّ المطلوب، أو الأدنى على الأقلّ، من الأخلاق والذّوق العامّ ومراعاة الآخرين في الطّرقات والأسواق والأماكن العامّة.

2009-09-17

لَا صَوْتَ يَعْلُو فَوْقَ صَوْتِ الْمَعْرَكَة

رقصٌ وغناءٌ و"دَرْبُوكَة" لِسَرِقَةِ سِلَاحٍ نَارِيّ، هكذا عَنْوَنَتْ إحدى الصّحف اليوميّة الجزائريّة وهي تسردُ مغامرةً قام بها عددٌ معتبرٌ من الشّباب لسرقة سلاح يعود لأحد رجال الأعمال، حيث كان ضمن الخطّة، المرسومة بدقّة، مجموعة من الشّباب الذّين مثّلوا دورَ فرقة الغناء والتّصفيق حتّى لا يشعر الحرّاس بعمليّة الحَفْر.

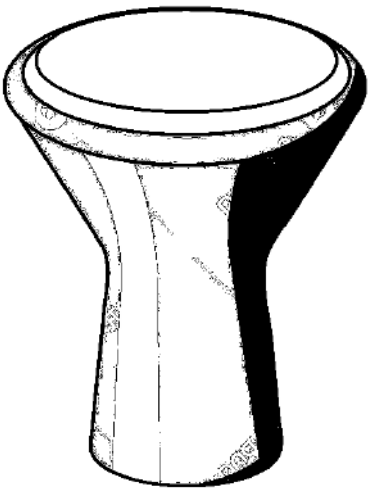

القصّةُ وقعت في إحدى ولايات الشّرق الجزائريّ و"أبطالها" شباب بين العشرين والثّلاثين من العمر، وزّعوا الأدوار بينهم ليتمكنّوا من خداع حارسين وعدد من الكلاب المدرّبة في مبنى معروف بجوار طريق عام عامر بالحركة..!

وهكذا عندما بدأت مجموعة الغناء باستعمال "الدّرْبُوكَة" والتّصفيق ورفع الأصوات، كان شابّان من المجموعة يجتهدان لإحداث ثقب مناسب في جدار مكتب رجل الأعمال، حيث تمّ لهما ذلك وتسلّل أحدهما إلى الدّاخل ليسرق السّلاح النّاري ويعود أدراجه هو وصاحبه بعد أن قام بتسوية الجدار من الخارج وإعادة بنائه حتّى لا يتمّ اكتشاف الأمر بسهولة..!!

تمّت جميع فصول تلك العملية المثيرة على إيقاع أغاني الأفراح التّي كانت تنطلقُ من حناجر المجموعة المكلّفة بتسخين وتقوية دور "الدّرْبُوكَة".

الفكرةُ ليست جديدة، لكنّها مطوّرة إلى حدّ كبير حين استعملت الأهازيج والأغاني في الشّارع العام وعلى مرأى من الجميع، أمّا أساسها فقد ظهر في أعمال درامية عديدة، فحين كنتُ في المرحلة الابتدائية مثلا، قبل عهد الفضائيات طبعا، شاهدتُ حلقات مسلسل عربيّ تبدأ أحداثه البوليسيّة بعد هروب مساجين استعملوا

الغناء للتّمويه على زميل لهم وهو يقطعُ قضبان نافذة الزّنزانة.. كانوا يغنّون كلّما بدأت عملية القطع حتّى تمّ لهم الأمر، وخرجوا لتبدأ فصول ملاحقتهم.

وأجنبيًّا هناك مثلا فيلم الهروب الكبير (The great escape) ويروي حكايةَ فرار جماعيّ من معتقل ألمانيّ كبير لجنود الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثّانية، وقد حفر هؤلاء الجنود الأسرى نَفَقًا من داخل المعتقل إلى خارجه، وكانوا يستعملون الغناء لإخفاء أصوات زملائهم الذّين يفتّتون ما يقابلهم من حجارة وينقلونها مع التّراب إلى العنابر ويتمّ التّخلّص منها بحذر في الميدان العامّ وقت الفسحة.

وفي بلادنا حدّثني أكثر من سائق شاحنة نقل عموميّة عن بعض ما يحدث خلال طوابير الانتظار في الموانئ ومصانع الأسمنت وغيرها، حيث ينشبُ فجأة شجارٌ بين اثنين أو ثلاثة فيتداعى الفضوليّون من أصحاب الشّاحنات، الذّين أنهكهم الانتظار وأعياهم الجلوس على المقاعد، لمشاهدة ما يحدث، ويتحرّكُ الطّيبون منهم بغية الإصلاح وفضّ النّزاع، وتنتهي المعركةُ وينجلي غبارها ويعودُ الجميع إلى شاحناتهم، ويتمّ إعلان الحصيلة بعد ذلك وهي اقتحام عدّة شاحنات وسرقة محتوياتها..!

والسّيناريو نفسه يتكرّر في الأسواق الشّعبية المزدحمة خاصّة خلال المواسم والأعياد، حيث تنشبُ أيضا بعض المشاحنات بين الشّباب ومن ثمّ تحدثُ الفوضى ويتولّى آخرون بقية المهمّة فينهبون دكاكين أو ينتشلون نقودا وهواتف من المتسوّقين.

وفي عالم السّياسة المعاصر، خاصّة مع تغوّل دور وسائل الإعلام، رأينا، ونرى، كيف تُمرّر المشاريع والمؤامرات الدّولية الخطيرة على هذا الشّعب أو ذاك بعد إعداد السّيناريو المناسب وإحداث ضجّة مدروسة لصرف الأنظار عن القضيّة الأمّ، وشغل النّاس ودفعهم إلى الجدال والاختصام حول قضايا أخرى فرعيّة..!!

وفي بلادنا تزداد المخاوف هذه الأيّام من استغلال سلبيّ لفرحة الشّعب الجزائريّ وهو يتذوّق طعم الانتصار الكرويّ الذّي حقّقه الفريق الوطنيّ في الخُرْطُوم وفي أماكن أخرى طوال الأشهر الماضية..؟؟

مخاوف من تناسي القضايا المصيرية والمعارك الحقيقية التّي يجب أن تخوضها الجزائر شعبا وحكومة، وأوّلها وأكثرها إلحاحا معركة الفساد خاصّة بعد إعلان رئيس الجمهوريّة السّيد عبد العزيز بوتفليقة عن تشكيل لجنة وطنية لمحاربة الفساد..

إعلانٌ مع افتتاح السّنة القضائية الجديدة، فكان المنتظرُ بعد ذلك أن تكون اللّجنة ومشروعها ملء السّمع والبصر في جميع وسائل الإعلام لتصبح بعد ذلك قضيّة وطنية بامتياز، خاصّة أنّ البداية كانت من منبر القضاء وأمام القضاة، وجمع كبير من الشّخصيات الرّسمية المتنفّذة.

إنّ تجربة تعبئة الشّعب الجزائريّ وراء الفريق الوطنيّ خلال مشواره الأخير إلى مونديال جنوب أفريقيا كانت ناجحة، ويبدو أنّ التّخطيط لها كان محكما والتّنسيق والتّعاون كان قويا بين مختلف القطاعات العمومية والخاصّة، ولأنّ النّجاح يقودُ إلى نجاحات أخرى، فلماذا لا نجرّب ذلك من جديد مع لجنة محاربة الفساد التّي أعلن عنها رئيس الجمهورية..؟

تعالوا نتنادى بالرّوح الوطنية من جديد ونتحلّى بالعزم ذاته والحيويّة نفسها التّي رافقت المباريات، ونساندُ الرّئيس في حملته ضد الفساد.. أَلَا تستحقّ إعادة الأموال المنهوبة وحفظ الموجودة أن تكون قضية وطنية ومعركة لا يعلو فوق صوتها صوت..؟

أعلنوها معركةَ شعب، كما فعلتم مع كرة القدم، وارفعوا الشّعار عاليا: لا صوت يعلو فوق صوت المعركة.

إنّ لجنةً مهمّة مثل التّي أعلن عنها رئيس الجمهورية لا ينبغي أن تُقابل من الجميع بأقلّ من الدّعم الكامل غير المشروط.. ليس الدّعم الفوريّ البروتوكوليّ بعد الإعلان فقط، لكنّه ذلك الدّعم العمليّ الدّائم والتّذكير به في كلّ مناسبة ودون تحفّظ.. نعم قد يكون هناك تحفّظ على التّفاصيل والإجراءات والخطوات، فقد تكون محلّ نقاش وإثراء، لكنّ المبدأ يظلّ محلّ إجماع صريح.

خلال العرس الكرويّ الأخير أظهر الكثيرون غِيَرةً بالغةً على الجزائر وحبًّا كبيرا لها، ونحسب أنّ الجميع صادقون، حتّى إن استغلّ بعضهم جهود الشّيخ رابح سعدان وأشباله للرّفع من أسهمهم الخاصّة.. والأمل كبير أن يتحرّك جميع أولئك الذّين أعلنوا لشركاتهم وأطربونا بتصريحاتهم وأتحفونا بأغانيهم.. **يتحرّكوا دعما للجنة محاربة الفساد وغِيرَةً على أموال الشّعب وحرصًا على جزائر قوية راشدة..** تحرّكات عبر الجرائد والإذاعة والتّلفزيون من خلال الإشهارات والتّصريحات والأغاني.. وإنّها مسألة أشهر فقط بعد ذلك، وتكون قضية الفساد على رأس أولويات الشّعب الجزائريّ كما صارت كرة القدم والتّأهل لمونديال جنوب أفريقيا.

2009-11-21

اَلْقَابِلِيَّةُ لِلْفَسَادِ وَالظُّلْمِ

كنتُ مع صديق أمام دكّان له حين انضمّ إلينا شابٌّ رياضيٌّ يُفترض أن يتوفّر فيه ذلك الخلق النّبيل الذّي يُطلق عليه الرّوح الرّياضيّة.. قدّمه الصّديقُ إليّ فشَارَكَنا الحديث وبعد وقت قصير استلم زمام المبادرة وراح يتحدّثُ عن مشاعره الجيّاشة ونفسه الأبيّة التّي تكرهُ الظّلم والظّالمين وتمقتُ "اَلْخُفْرَةَ" التّي انتشرت في أوساطنا الرّسميّة والشّعبيّة على حدّ سواء.

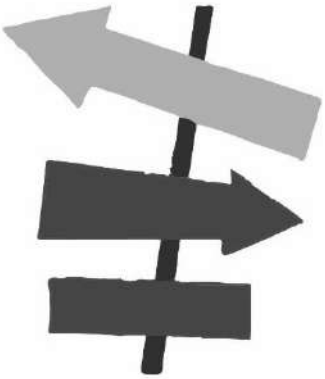

قال الشّابُّ الرّياضيُّ إنّه ذهب قبل فترة إلى فرع البنك الذّي يستلمُ منه راتبه، ولأنّ جهاز الكمبيوتر كان معطلا فقد طلب الحارس من جميع العمّال، زملاء الشّاب، أن ينتظروا في الخارج.. فخرجوا صاغرين، أما هو فقد وقف في وجه الحارس وقال له إنّ مكانك أمام الباب من الجهة الخارجية ولا دخل لك أصلا فيما يحدث في الداخل..

ولما تدخّل الموظّفان المكلّفان بأمر الرّواتب، كانا رجلا وامرأة، أفحمهما الشّاب بحجّته القويّة، على حدّ تعبيره، وهدّدهما أيضا بالضّرب وتكسير جهاز الكمبيوتر على رأسيهما أو على رأس أحدهما على الأقلّ، وأكثر من ذلك استهان بهما قائلا إنّ أخيه الصّغير يلعب بالجهاز أحسن منهما ولا حاجة لهذا التّعالي بوظيفة العمل على الكمبيوتر..!!!

وحسب رواية الشّاب فقد انتهت القصّة بأنّ ظلّ وحده في القاعة ينعم بالهواء المكيّف إلى أن تمّ إصلاح الجهاز فاستلم راتبه وخرج مرفوع الهامة.

ولأنّنا في شارع عام نشاهدُ الغادي والرّائح، فقد قطع الشّاب كلامه مرّة أثناء روايته لتفاصيل قصّته المثيرة.. قَطَعَهُ ليردّ السّلام على رجل غير بعيد عنّا، وعرّفه لصديقي بأنّه شخص مشهور ومتميّز،

ودَلَّلَ على ذلك بأنّه "يستطيع أن يحضر لك رخصة السّياقة التّي فقدتها بسبب مخالفة مرورية.. يحضرها لك ولو من مكان بعيد مثل تيبازة أو بومرداس.."..؟؟

راح الشّابُّ يتحدّث بعدها عن قصّة أخرى مشابهة على حدّ تعبيره..

قال إنّه كان في منطقة حَمّام مَلْوَان يوما مع صديق له ودخلا مكانًا مخصّصا للعائلات، وراح يغسلان سيارتهما من مياه الوادي فجاءهما شابّ، يديرُ المكان ويؤجّرُ المظلّات للزّوّار، وأخبرهما أنّ غسل السّيارات ممنوع، وفضلا عن ذلك فالمكان للعائلات فقط، فلم يستجيبا له فهدّدهما باستدعاء الدّرك، فلم يَأْبَهَا لذلك..!!

وفعلا غادر الشّابُّ وعاد بصحبة أحد عناصر الدّرك الوطنيّ، فحاول هذا الأخير ابعادهما عن المكان، وهو تصرّف فيه "حُقْرَة" على رأي محدّثنا..؟؟

وفجأة جاء المددُ حين وصلت سيّارةٌ ونزل منها رجلٌ تبدو عليه مظاهر النّعمة والمسؤولية فبادر بالسّؤال عن الجدل الدائر، فشكا له الشّابان "حقْرة" الدّركيّ فانتحى به جانبا وأظهر له بطاقة وأردفها بكلمات، فانتهى الموضوع وذهب الدّركيّ دون أن يتفوّه بكلمة..؟؟

ويكملُ الشّابُّ قصّته مزهوًّا بهذا الانتصار حيث جلس ورفيقه مع عائلة ذلك الرّجل النّافذ، واستمتعا بالجوّ دون أن يعكّر صفوهما أحد..!!

نفذ صبري فقلتُ للشّاب: لكن لماذا تغسلان السّيارة هناك مع أنّ أمر المنع واضح للجميع، فأجاب ببساطة: أين نغسل إذن..؟؟؟

والحقيقة أنّ الذّي يزور منطقة حمام ملوان السّياحية تقابله لوحةٌ كبيرةٌ تنادي: "غسلُ السّيارات في الوادي سلوكٌ غير حضاريّ"..

رجلٌ عاقلٌ يحكي لي مرّة عن شخص يعرفه كان يقود سيّارته داخل مدينته الصّغيرة ولم يحمل معه رخصة السّياقة فأوقفه شرطيّ، فقال له إنّني فلان وأسكنُ هناك ويعرفني القاصي والدّاني.. وعندما حاول الشّرطيّ تطبيق القانون قال له ذلك المواطن: سترى..!!!

وهكذا، حسب الرّواية، اتصل الشّخص المذكور بصديق يعملُ سائقا لدى شخصيّة كبيرة قريبة من قمّة الهرم، ولم يشعر الشّرطيّ، بعد فترة، إلا وهو يتلقّى أمرا بالنّقل إلى منطقة نائية في الصّحراء.. فصار يبكي ويستعطفُ الرّجل.. لكن دون جدوى فقد صدر الأمر السّامي..!!!

قصص أخرى استمعتُ إليها مرّة في مجلس كان فيه عدد من السّائقين حيث تفنّن بعضهم في الحديث عن براعتهم في التّحايل على

رجال الأمن، وأسهبوا في تفاصيل حالة الفلتان القانونيّ، ووصلوا إلى تلك الخاتمة المعروفة سلفا وهي أن لا أحد يلتزم القانون، حتى تكاد تتخيّل، وأنت تستمع إلى مثل هذه الأحاديث والأحكام، أنّنا في الصّومال حيث لا تعني كلمة الدولة والقانون شيئا في القاموس الشّعبي بعد هذه السّنوات الطويلة من الحروب والنّزاعات..

سَرَدَ أحدُ الحاضرين قصّة شرطيّ شابّ استلم عمله في حاجز ثابت، وأعلن أنّه سيطبّق القانون على الجميع ولن يفرّق بين المواطنين إطلاقا..

وجاءت إحدى شاحنات "فلان" فأوقفها الشّرطيّ بسبب مخالفة قانونية، وحسب التّوصية فإنّ السّائق يتركُ الوثائقَ دون أدنى كلمة مع الشّرطيّ ويخبرُ "المعلّم الكبير"..؟؟

وجاءت الأحداث سريعة بعد ذلك، حسب الرّاوي، حيث حضر مسؤول كبير عند الحاجز وراح يزمجرُ وينتصرُ لذلك "الفلان"، ويقول بكلّ وقاحة للشّرطيّ: هاهو القانون الذّي تتحدّث عنه، سوف أخصمُ لك شهرا، واختر منطقة نائية لأنقلك إليها.. وندم الشّرطيّ الشّاب ورضي بالخصم وصار همّه فقط ألّا يُنقل إلى "الجحيم"..!!!

الأحاديث والقصص كثيرة وتتكرّر بِصِيَغٍ متعدّدة، لكنّ ما أثارني، ويثيرني دائما، هو لهجة المتحدّثين التّي لا تخفي الفخر أو

الابتهاج وتكادُ تضفي دور البطولة والرّجولة على الذّي يخالف القانون، وكأنّها تنتصرُ للقويّ الظّالم وتسخرُ من ذلك النّظيف الشّريف العفيف الذّي يسعى لتطبيق القانون..!!

المفارقةُ أنّ هؤلاء الذّين استمعت إليهم، وأشباههم، يمقتون الظلم والفساد و"الحُفْرة" وربّما عانوا من ويلاتها.. **لكنّ ما يصدر عنهم يوحي بشيء آخر لأنّ "القلوب كالقدور تغلي بما فيها، وألسنتها مغاريفها"..** فهل هي تراكمات سنوات طويلة من التّناقضات أم هو نوع من القابليّة لممارسة الظّلم أو القبول والإشادة به على الأقل..؟؟

الأمرُ محيّر وفي حاجة إلى مزيد من النّقاش الجادّ، لكنّ المؤكد أنّ الحالة المثاليّة هي الانحياز الدّائم للقانون والعدل والمجاهرة بمعاداة الظّلم والفساد حتّى لو تعلّق الأمر بمصالحنا وأقرب النّاس إلينا.

2010-08-28

اَلْفَسَادُ.. مَأْسَاةٌ نَصْنَعُهَا بِأَيْدِينَا

أعرفُ عنه حرصه على المصلحة العامّة ومراعاة القوانين، كما يؤمنُ بضرورة وأهمية الوقوف في وجه عصابات الفساد والمحسوبيّة التّي تتفنّنُ في التّلاعب بمقدّرات البلاد وحياة العباد.. كان يُجري اتّصالا هاتفيّا، ويبحثُ عن جاره فلان في المستشفى الكبير بالمدينة.. والسّبب أنّ ابنته في حاجة إلى زيارة الطّبيبة، ولا بدّ، على حدّ زعمه، أن يوصي عليها من البداية، ودون ذلك لن تجد شيئا من الرّعاية والاهتمام.

زيارةُ البنتِ للطّبيبة كانت لمرض غير مستعجل وقد يكون الأمر أقرب إلى الاستشارة التّي يطلبها أحدنا من الطّبيب لِعَارِضٍ بدا في أحد أعضائه واحتاج إلى مجرّد تأكيد من ذوي الاختصاص على أنّ الأمر يسير..

ماذا لو كان المرض خطيرا وفي حاجة إلى عمليّة جراحية عاجلة..؟؟

لا أدري، ربّما احتاج صاحبي إلى استنفار جميع من يعرفُ من الإنس وحتّى الجنّ إن وجد إلى ذلك سبيلا..!!

موقف آخر كان في معرض الحديث مع أحد الزّملاء الجادّين الذّين يؤمنون بأهمية النّزاهة ونظافة اليد.. قلتُ له بأنّني مشغول هذا الأسبوع فقريبي سيدخلُ المستشفى الفلانيّ.. فبادر بسؤالي: هل لك علاقات هناك...؟ إذا أردت فإنّني أعرف من يستطيع مساعدتك ويسّهل لك الإجراءات..

اعتذرتُ له بلطف، وأكدت له أنّ قريبي قد حصل على موعد وسيباشرُ العلاج، ولا أظنّ أنّ هناك ضرورة للاتّصال بفلان أو علاّن.

وقلتُ لقريب لي كان حديث عهد بالزواج، ويشاركُ والديه السّكن والمعيشة: أَوْدِعْ ملفًّا لدى الجهات المسؤولة، وستحصلُ

بإذن الله على سكن مناسب خلال عام أو عامين وحتّى ثلاثة، فلا ضير أن تنتظر بعض الوقت.. فبادر بالردّ: ومن يعرفني في الإدارة حتّى يعطيني سكنا..؟

سؤال غير بريء، للأسف الشّديد، يتكرّر في مجالسنا ومقاهينا وإداراتنا وبيوتنا وحتّى مساجدنا.. وهو: هل تعرف أحدا في البلدية..؟ هل تعرف موظّفا في الولاية..؟ وهل تعرف المدير الفلانيّ..؟ هذا في القضايا الصّغيرة، أما عندما تكبرُ الملفّات، ويزيدُ حجم المعاملات، فأتوقّعُ أن يتحوّل السّؤال تلقائيا إلى: هل تعرفُ الوزير الفلانيّ..؟ هل تعرفُ شخصية سامية في الميناء..؟ هل تعرفُ المدير العامّ في الوزارة الفلانية..؟ هل تعرفُ رجلا مهمًّا في محيط الرّئاسة..؟

نعم إنّه سؤال غير بريء ويجدر بنا التّعاون لأجل القضاء عليه، وعلى آثاره المدمّرة على مسيرة البناء القانونيّ والإداريّ الحضاريّ لبلادنا..

ما أحوجنا جميعا إلى محاصرة ذلك السّؤال والقضاء على الأسباب الكامنة وراءه، ومن ثمّ العودة إلى الأصل وهو أن نتوجّه ببراءة إلى إداراتنا ومؤسّساتنا ووزاراتنا ومستشفياتنا وموانينا..

نتوجّه إليها وقلوبنا بيضاء من كلّ شك، ونتقدّم إلى الشّبابيك ورؤوسنا مرفوعة، ونطالب بحقّنا في الخدمة دون مِنَّةٍ من أحد، لأنّ مبرّر وجود المسؤول أو الموظّف هو أنا.. أنا المواطن الجزائريّ الذّي ضحّى لأجل حرّيته مليون ونصف مليون شهيد في ثورة التّحرير الكبرى وحدها.

جانب آخر من مأساتنا التّي نصنعها بأيدينا تعبّر عنه قصّتي التالية مع صديق آخر كان معي مرّة وكنتُ أتحدّث مع قريب عبر الهاتف فَسَرَدَ عليّ قضيةً كنتُ أعرفُ طرفا منها، وختم حديثه بأنّ الشّخص الذّي كان يساعده في حلّ معضلته قد طلب مبلغ كذا وكذا على شكل رشوة غير صريحة..

قلتُ للصّديق، وكان رجلا جادًا ونظيف اليد كما أحسبه: المسكين طلبوا منه رشوة، قال: كم..؟ قلتُ: كذا وكذا.. قال: والله إنّه مبلغ بسيط جدًّا مقارنة بما يطلبه آخرون في مثل هذه الحالات..!!!

أعترفُ، والحمد لله، أنّني لا أملكُ أيّ خبرة في تقدير مبالغ الرّشاوى وما شابهها، ولا أعرف شيئا عن كواليس الرّشوة والمرتشين الظّاهرين منهم والمتستّرين، ومع ذلك لم أكن في حاجة إلى تقييم صاحبي لمبلغ الرّشوة عندما شاركته في أمر حديث

الهاتف، كنتُ أخبره فقط مستنكرا وأنتظرُ منه السّلوك نفسه.. كنتُ أتوقّع أن يُحَوْقَلُ الرّجل ويستعيذ بالله من كلّ شياطين الإنس وحتّى الجنّ إن كان لهم يد في انتشار سرطان الفساد في بلادنا..

لكنّ الرّجل تجاوز ذلك وراح يقيسُ الحادثة على أشباهها ليتحفني بتلك النتيجة وهي أنّ المبلغ زهيد، والحمد لله فقد توقّف الأمر عند هذا الحدّ ولم يطلب مني أن أخبر قريبي بوجوب رفع المبلغ المطلوب حتى لا يظلم "القوم" ويحرمهم حقّهم "الطبيعيّ" في الحدّ الأدنى من قيمة الرشوة...!!!

إنّ أكثر النّاس في بلادنا طيّبون في أنفسهم، وبعيدون عن كلّ أنواع الرّشوة والفساد المتعمّد، لكنّ الوقوف في ذلك المربّع والاكتفاء به لا يحرّك ساكنًا في مياهنا الرّاكدة، وأضعفُ الإيمان في هذا الشّأن هو الإنكار القلبيّ واللّفظيّ، والتّعبير عن الامتعاض والاشمئزاز والكراهية لهذه السّلوكيات حتّى لو كان المتورّط فيها أخ أو ابن أو أب أو قريب أو صديق عزيز، **وحتّى لو كان هذا المتورّط هو الطّرف الأضعف الذّي اضطرته الظّروف أن يقدّم أموالا لدفع ظلم أو استرجاع حقّ..**

والنّتيجةُ التّي نلمسها ونراها هي تحوّل غير الطّبيعيّ، وهو الرّشوة والمحسوبيّة، إلى شيء طبيعيّ يتعاطاه هذا وذاك دون أدنى شعور بالذنب في حقّ الوطن والدّين على حدّ سواء.

ويزدادُ الطّينُ بِلَّةً عندما نردّد تلك العبارات البائسة التّي تؤكّدُ أنّ الفساد انتشر ولا فائدة من كفاحه وأنّ بلادنا لن تعرف غير سبيل الرّشوة والواسطة، وكأنّ ذلك قَدَرُنَا إلى الأبد.. وتبدأُ بعدها رحلة الاستسلام والاستقالة من أيّ جهد حقيقيّ على مستوى الذّات والمجتمع لمحاربة الفساد..!!!

إنّ مسلّمات الدّين والتّاريخ والمنطق وسنن الحياة تزجرنا عن التّمادي في هذا التّشاؤم المقيت من وضع بلادنا.. وتدعونا إلى التّفاؤل بالحاضر والمستقبل والعمل من أجل غد أفضل تكون الغلبة فيه لأصحاب الأيادي البيضاء.

2010-09-25

تَصَوَّرْ أَنَّهُ ابْنُكَ

كان يقود سيّارته بسرعة غير عاديّة في شوارع الحيّ، ومن الطّبيعيّ أن يدرك إمكانية خروج صبيّ صغير فجأة ليقطع الطّريق، أو حتّى رجل كبير في عجلة من أمره أو غفلة عن مخاطر السّيّارات وجنون بعض سائقيها.. أَوْقَفَهُ أحدُ السّكان، ولحسن الحظّ فقد توقّف.. لَفَتَ انتباهه إلى خطورة ما يفعل وإمكانية إصابته لطفل أو اصطدامه بمركبة أخرى.. قال ببساطة: شركة التّأمين ستتحمّل التّكاليف.

القصّةُ واقعيّةٌ وقد سمعتها ممّن شاهدها ومع ذلك أتمنّى ألّا يكون بيننا وفينا هذا النّوع من المستهترين بأرواحهم وأرواح غيرهم..

أولئك الذّين ركبوا السّيارات من الباب الخطأ عندما تصوّروا أنّ السّرعةَ الظاهرةَ في عدّاد السّيارة هي ما ينبغي أن تسير عليه في كلّ زمان ومكان، وأولئك الذّين فهموا من التّأمين على السّيارة، جميع المخاطر، أنّه صكُّ براءةٍ دنيويّةٍ وأخرويّةٍ من كافّة الآثام والخطايا والحماقات التّي ترتكبُ في الطّرقات بسبب الغرور والسّرعة، والتّفاهة والسّطحية في تقدير المواقف واحترام حياة وأمن الآخرين.

رجلٌ من عامّة النّاس، لا يحسن القراءة والكتابة تقريبا.. جمعني به مجلسٌ مؤخّرا، ووصل الحديث بنا إلى حوادث المرور والمجازر التّي تشهدها الطّرقات، وأولئك القَتَلَة الذّين يقفون وراء عجلات القيادة بكامل أزيائهم وزينتهم دون خوف أو وَجَل..!!

قال الرّجل إنّه يمارس قيادة السّيارات منذ خمسة وثلاثين عاما ولم يقتل ولو قطّة في الطّريق لحدّ الآن والحمد لله.. تَحَدَّثَ بلهجة عاميّة لكنّها عميقة..

قال إنّ الذّين اخترعوا السّيارة وصمّموها علماء يفقهون ما يفعلون، وإنّ الذّين وضعوا قوانين المرور، وإشارات الوقوف والانتباه وتحديد

السّرعة وغيرها، خبراء يملكون حسًّا عاليا في الوقاية والأمن والسّلامة والحفاظ على الأرواح والممتلكات وحتّى الحجر والشّجر..

ثمّ أردف قائلا: المشكلة في أولئك الذّين يقودون السّيارات بلا وعي ولا فهم ولا دين ولا حياء ولا تقدير للآخرين وإحساس بإنسانيتهم وحقّهم في الأمان والحياة والخروج إلى الأسواق والطّرقات والأماكن العامّة..!!

كلامٌ كثيرٌ وقصصٌ عديدةٌ ومواقفُ مثيرةٌ يمكن أن نتداعى ونحن نقرأ بعض تصريحات وزير التّضامن الوطنيّ والأسرة سعيد بركات، وهو يتحدّث عن تلك الإحصائيّة التّراجيديّة:

أكثر من ألف ومائتي طفل لقوا حتفهم جرّاء حوادث المرور خلال خمس سنوات، أي بمعدل مائتين وأربعين طفلا سنويا، وفي المقابل تعرّض أزيد من خمسة عشر ألفا وخمسمائة طفل لجروح متفاوتة خلال الحوادث المسجّلة في الفترة ذاتها..!!

الوزارةُ الوصيّةُ أطلقت، مشكورة، جهازا جديدا للوقاية من حوادث المرور أمام المدارس أثناء دخول وخروج التّلاميذ، خاصّة تلك المؤسّسات التّربويّة التّي تقع قرب الطّرقات العامرة بحركة كثيفة للمركبات من مختلف الأنواع والأشكال.

الجهازُ مُكلّفٌ بتسخير أعوان مهمّتهم التّدخل لتمرير التّلاميذ أمام المؤسّسات خلال رحلتيْ الذّهاب والإياب، ويحملُ هؤلاء الأعوان لوحة بإشارة قف لتنبيه السّائقين حتى يتوقفوا إلى غاية قطع الأطفال الطّريق بسلام، إضافة إلى جهاز منبّه بإشارات ضوئية يُستعمل في إعلام المركبات بضرورة التّوقف.

العمليّةُ انطلقت في العاصمة لتشمل في مرحلتها الأولى عشرين بلدية بها مائتين وخمسين نقطة مرورية سوداء بالنّسبة لتلاميذ المدارس، ويقوم بالمهمّة خمسمائة عون بمعدل عونين أمام كلّ مدرسة، وقد استفاد الجميع من تكوين أوّلي من قِبَلِ الحماية المدنية ووزارة التربية الوطنية يؤهلهم للتّعامل مع الحركة المرورية، والتّصرف بما يلزم عند حالات الحوادث والإصابات.

هذه المبادرة الإيجابيّة ستعمّم على كامل التّراب الوطنيّ، وستستفيد منها المدارس المتاخمة للطّرقات المعروفة بكثافة حركة المرور، ولا شكّ أنّ نفعها سيعمّ وتأثيرها على تقليص أعداد الحوادث في صفوف التلاميذ سيظهر بجلاء ووضوح، وستزيد من مساحات الاطمئنان والرّاحة النّفسية لدى الأولياء فضلا عن التّلاميذ أنفسهم، ولا شكّ أنّ خيرها سيصل إلى مستويات التّحصيل الدّراسيّ، فيرفع من المعدّلات بعد أن يزيد الانتباه ويزول

الشّرود والذّهول الذّي يخلّفه رعب قطع الطّرقات وأبواق السّيارات على التّلاميذ الأبرياء الطّيبين.

كلّ ما سبق من ذلك الجديد هو مفيد دون شكّ، وأملنا أن تعمّ الفكرة جميع مناطق البلاد في أقرب الآجال، وأكثر من ذلك أن تنتشر ثقافة العمل التّطوعيّ في هذا الشّأن كما هو الحال في دول أخرى، لأنّ الجهات الرّسمية لن تستطيع تغطية جميع المؤسّسات هكذا ببساطة وفي أسرع وقت، أمّا العمل الطّوعيّ فإنّه يسدّ العجز ويغطّي النّقص إذا انتشر بين النّاس، وتوغّل في حياتهم اليومية وصاروا ينظرون إليه كما ينظرون إلى بقية الأعمال الضّرورية التّي يؤدّونها يوميا ليكسبوا منها القُوت ويؤمّنوا بها الملبس والمسكن.

ومع العمل الرّسميّ والطّوعيّ ما أحوجنا إلى حملات ذكيّة تتعاملُ مع النّفوس، وتتحدّثُ إليها بما يؤثّر إيجابًا عليها ويغيّر من قناعاتها السّلبية حول الطّريق والآخرين، فتطرد الأنانيّة المفرطة، وتتعامل مع مستعملي الطّريق من الرّاجلين بما تحبّ أن تُعامل به.

ما أحوجنا إلى نشر ثقافة الذّوق العامّ في الطّرقات والشّوارع، وتعليم السّائقين ذلك البرود الإيجابيّ الذّي يجعل طرقاتنا مع مرور الأيام أكثر أمنا، ويُذهب من تفكير تلاميذنا وأوليائهم شيء اسمه الخوف من الطّريق والسيارات.

حملاتٌ طويلةُ الأمد لنشر الوعي والإحساس والأخلاق الفاضلة، ولعلّ أنسب شعار لها هو:

تَصَوّرْ أَنّهُ ابْنَكْ..

نعم عندما يتصوّر كلّ سائق أنّ أطفال المدرسة في مقام أبنائه أو إخوانه أو جيرانه.. سوف تهون عليه تلك المصالح التّي يُوهم نفسه أنّ السّرعة من أجلها، وسوف يتروّى ويتمّهل لأنّ أغلى ما في دنيانا هو تلك البراءة التّي ترتسم على وجوه الأطفال.

2010-12-18

اَلْمِحْوَرُ الثَّالِث
مَقَالَاتٌ عَلَى ضِفَافِ الثَّقَافَة (2)

المقال 1: ثقافة الحرص والاعتزاز باللّغة الوطنيّة..
المقال 2: ثقافة الابتسام والمجاملات وحسن الاستقبال..
المقال 3: ثقافة التّوازن والوعي مع مباريات كرة القدم..
المقال 4: ثقافة التّصرّف أثناء الفوز أو الهزيمة الكُرَوِيّة..
المقال 5: ثقافة التّعارف والتّعاون من خلال مباريات كرة القدم..
المقال 6: ثقافة التّحدّي والتّمسّك باللّغة الوطنيّة..
المقال 7: ثقافة العمل والكسب والسّعي والجدّ..
المقال 8: ثقافة التّفاؤل والقناعة وتقدير النِّعم..
المقال 9: ثقافة الخدمة والاعتذار وتقدير الزّبائن..

بَعْدَ نِصْفِ قَرْن.. أَلَا نُغَادِرُ الْهَوَان..؟؟

أستاذٌ جامعيٌّ صديقٌ يجتهدُ لإكمال أطروحة الدّكتوراه والانخراط بشكل أكثر حيويّة وجدّية في التّدريس والبحث العلميّ والنّشاطات الجامعيّة.. قَابَلْتُهُ بعد عودته من أوّل زيارة له شبه مطوّلة قادته إلى "بلاد الجنّ والملائكة".. وكان سعيدا بتلك "الرّحلة العلميّة" فقد بدأ يقطع خطواته الأولى في تعلّم لغة "فولتير".

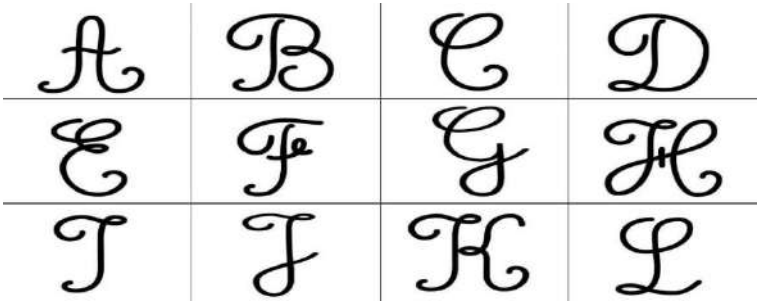

كانت المقابلةُ في بيت زميل صحفيّ متألّق عائد من موسكو حيث يعملُ مذيعًا في قناة تلفزيونيّة روسية ناطقة بالعربيّة..

وقد أخبرنا الزّميل أنّه صار في مرحلة "الحَبْوِ" في التّخاطب والتّعامل باللّغة الرّوسية.. وطبيعيّ أن يتطرّق الحديثُ إلى اللّغات وأهمّية تعلّمها والدّور الرّياديّ الذّي لَعِبْتُه التّرجمةُ في نهضة الأمم عبر مختلف العصور، وما تقومُ به التّرجمة هذه الأيام من نقل سريع وكثيف للعلوم والثّقافات والآداب وتسهيل تبادلها بين مختلف الأمم والشّعوب، لتصير المعرفةُ مشاعةً للجميع، إلّا من أَبَى وَتَقَوْقَعَ وَوَضَعَ على نفسه القيود وأحكم حولها السّدود..!!

وبشعور، أو دون شعور، وصل الحديثُ إلى اللّغة الفرنسيّة والدّور الذّي تلعبه هذه الأيّام في الجزائر..؟؟

دَوْرٌ تختلفُ النّخبةُ حوله بين من يراه إيجابيًّا مطلقا، حتّى أنّ تلك اللّغة "غنيمة حرب" على حدّ تعبير أحدهم، وينبغي طبعا، طبقا لهذا الرأي، الاستفادة القصوى من مال الغنيمة وإن كثّا أغنياء وأصحاب أموال طائلة قبل هذه الغنيمة وبعدها.. وبين من يرى الأمرَ حالةً شاذّةً في تاريخ الأمم الشّريفة القويّة التّي قدّمت الغالي والنّفيس وهي تقاتلُ لأجل حرّيتها.. كلّ حريتها بما في ذلك الحرّية الثّقافية واللّغوية.

قال صديقنا، الأستاذ الجامعيّ، إنّه حريصٌ على إتقان الفرنسيّة بعد زيارته لفرنسا، فَبَارَكْنَا فيه وضوح الهدف بالنّسبة لباحث مثله، وعلوّ الهمّة التّي تدفعه إلى إتقان لغة ثانية، إلى جانب اللّغة الأم، وهي صفة ملازمة لأغلب الباحثين الجادّين الذّين تركوا بصمات واضحة ومعالم بارزة في مجال التّحقيق العلميّ والبحوث والدّراسات الإنسانية.

لكنّ صديقنا أَرْدَفَ كلامه بما اعْتَبَرْتُهُ صَفْعَةً مُوجِعَةً عندما قال: إنّ الفرنسيّة هي مفتاح الوصول إلى المناصب العليا في الجزائر هذه الأيّام..!!!

قلتُ: لا حول ولا قوّة إلا بالله.. أَبَعْدَ هذه السّنوات الطّويلة من الاستقلال ما زالت الفرنسيّة هي المفتاح السّحريّ، فمتى نتحرّرُ ثقافيًّا إذن..؟؟

هل نحن في حاجة إلى قرن وثلث قرن لنتحرّر من الاستعمار اللّغويّ الثّقافيّ كما تحرّرنا من الاستعمار العسكريّ الاستيطانيّ..؟؟

إن كان هذا الأمر حقيقة فتلك مصيبة ليس أعظم منها إلا فناء الأمّة الجزائرية عن آخرها، وإن كان مجرّد أقوال مسمومة يحاول اللّوبيّ الفرنكفونيّ أن يجعلها واقعًا ملموسًا، فحريّ بالنّخبة الوطنيّة الواعية أن تجبّها وتنزّه ألسنتها عن مثل هذا اللّغو القبيح.

إنّ أُولَى خطوات التّغيير هي الإحساس بالمشكلة، والسّؤال المهمّ، خاصّة ونحن نحيي الذّكرى السّابعة والأربعين لعيد الاستقلال: هل ينتابنا دائمًا إحساسٌ قويٌّ متجدّدٌ بمأساة اللّغة العربية بين أبنائها، وخصوصا بين أولئك الذّين يُفترض أنّهم دافعوا عنها يوما ما وهم يحملون السّلاح ضدّ المستعمر الفرنسيّ الذّي جعل القضاء على اللّغة العربيّة على قمّة أولوياته..؟

يجبُ أن نحسّ بفداحة الأخطاء، ونشعر بعظم الجرم في حقّ اللّغة عندما نتابع التّلفاز أو الإذاعة ونتكرّر على مسامعنا أخطاء لغوية ما أسهل تجنّبها لو توفّر الوعيُ بأهمّية احترام اللّغة..

يجب أن نحسّ بتأنيب الضّمير على تقصيرنا جميعا ونحن نقرأ الصّحف وهي تعجّ بذلك الحجم الكبير من الأخطاء النّحوية والتّعبيرية، والإحساس ذاته مطلوب ونحن نقرأ لوحات الدّكاكين وإرشادات الشّوارع والطّرق وغيرها، ونحن نعاينُ أخطاء الرّسائل الرّسمية وإعلانات الإدارات والبلديات وغيرها..

ويكونُ الإحساسُ الأعمقُ بالمأساة مطلوب بشدّة عندما نحضر، أو نسمع عن اجتماعات رسميّة يتمّ التّداول فيها باللّغة الفرنسيّة، ويكون المتحدّثُ فيها بلغة البلاد الرّسمية غريبًا وربّما طريدا أيضا..!!!

حضر المَهَاتْمَا غَانْدِي مؤتمراً حكومياًّ رسمياًّ لدعم بريطانيا العظمى في الحرب العالمية الأولى، وكان المؤتمرُ برئاسة نائب الملك (الحاكم البريطانيّ للهند آنذاك)، وقد طلب غَانْدِي من نائب الملك السّماحَ له بالتّحدّث باللّغة الهندية خلال إلقاء كلمته، فوافق الرّجل على ذلك بشرط أن يتحدّث باللّغة الإنجليزية أيضا، وكانت اللّغة الرّسمية للهند طوال فترة الاستعمار البريطانيّ.

يقول غاندي إنّ كثيرين قدّموا له التّهاني بعد الكلمة وقالوا له إنّ هذه أوّل مرّة، على ما تستحضر الذّواكر الحيّة، يتحدّث فيها امرؤ باللّسان الهِنْدُوسْتَانِيّ في اجتماع كهذا.

ويواصل غاندي في سيرته الذاتية الموسومة بـ: (قصّة تجاربي مع الحقيقة) فيقول: "وكان في التّهنئات الموجّهة إليّ واكتشافي أنّي كنتُ أوّل من تكلّم بِالهِنْدُوسْتَانِيّة في اجتماع برئاسة نائب الملك، أقول كان في تلك التّهنئات وذلك الاكتشاف ما جَرَحَ كبريائيّ الوطنية، لقد شعرتُ وكأنّي أتقلّص في جلدي، فَيَا لها من فاجعة أن تكون لغة البلاد محرّمة في اجتماعات تعقدُ في البلاد من أجل عمل يتّصل بالبلاد، وأن يكون خطابٌ يلقيه بالهندوستانية شخصٌ ضالّ مثلي مسألةً تستحقّ التّهنئة! إنّ أحداثًا مثل هذه لتذكّرنا بالدّرَك الحفيض الذّي تردّينا فيه".

وفي الجزائر تتكرّرُ الصّورةُ بشكل مشابه في كثير من الأحيان، وذلك عندما نفرحُ بمسؤول عالي المستوى يتحدّث عربيةً سليمةً بليغةً، أو يقف موقفًا بطوليًّا ضدّ هيمنة اللّغة الفرنسية في الإدارات الحكومية..!!

إنّها فاجعةٌ، على حدّ تعبير غَانْدِي، لأنّ جزائر الشّهداء ما كان ينبغي لها أن ترى بأمّ عينيها كلّ هذا الهوان، **فالأصلُ في القضايا المصيرية مثل اللّغة والهوية الثّقافية أن تكون محسومةً معلومةً بعد شهور معدودة من عمر الاستقلال**، لا أن تظلّ محلّ جدل ونحن على أعتاب العيد الذّهبيّ لاستعادة السّيادة الوطنيّة.

2009-07-09

نَحْوَ الْقَطِيعَةِ مَعَ سَنَوَاتِ الْجَفَافِ اللَّفْظِيّ

كنتُ في حاجةٍ إلى مقابلةِ طبيبٍ في عيادةٍ جراحيّةٍ خاصّة بدأت تشقُّ طريق "نجوميّتها" في جوّ العاصمة الصّحيّ المتقلّب.. نجوميّةٌ في حاجة إلى تدقيق حول إن كانت وليدة غياب المنافسة الحقيقيّة في هذا المجال، أم أنّها محصلة جهد فعليّ وخدمة صحيّة راقية تصاحبها أسعار معقولة.

كان الأمرُ مجرّد ورقة ضمان اجتماعيّ حمراء عليها ختم وتوقيع العيادة احتاجها مريضٌ أَجْرَى عند القوم عملية جراحيّة في وقت سابق، وطَلَبَ منّي خِدْمَتَهُ في هذا الأمر لبعد الشُّقة بينه وبين العاصمة.

دخلتُ وقلتُ لإحدى موظّفات الاستقبال: أريد مقابلة الدكتور فلان، فقالت من حظّك أنّه سيجري اليوم عمليّة جراحيّة، فقلتُ متى أعود إذن..؟ ردّت بتأفّف واضح واستغراب وكأنّي طلبتُ منها تحديد وقت حدث فلكيّ بعد عدة قرون..!!!

قالت: لا أستطيع أن أقول لك أيّ شيء، إنّه يأتي ثمّ يذهب..

تدخّل الحارسُ أيضا في الأمر ليساعدها على إقناعي بقبول هذا الأمر الذّي يبدو لهم بديهيا وطبيعيا.. فقلتُ يا جماعة لم أطلب مستحيلا: متى يأتي ومتى يغادرُ وسآتي قبل حضوره أو مغادرته بساعة أو أقلّ أو أكثر.. أنا مستعدّ للانتظار لكن ليس دون حدود.. أعطوني وقتًا تقريبيًّا على الأقلّ ما دامت الدّقّة غائبة في عيادة خاصّة..

وأردفتُ بقولي: لن أحاسبكم إذا تأخّر عن الموعد التّقريبيّ الذّي تحدّدونه..

وأمام إصراري "تكرّموا" بإخباري بموعد شبه عائم فخرجتُ وأنا أحدّثُ نفسي بأنّ معنى كلام الموظّفة في البداية أن أحضر معي فراشا وغطاء وصورة للدّكتور ربّما أحصل عليها من الأنترنت، لأنّي لا أعرفه شخصيا، ثمّ أنتظر أمام مبنى العيادة طوال أيام الأسبوع حتّى أقابله إن كنت محظوظا ووجدت إلى ذلك سبيلا..!!!

الإدارةُ الحديثةُ، خاصّة في مجال الأعمال الخاصّة، تعتمد على قاعدة أساسية: كيف أخدمك أيّها المُراجع..؟ أيّها الزّبون، أيها الزّائر، كيف أسهّلُ الأمر عليك..؟

الزّبون على حقّ دائما حتّى لو أخطأ.. لن يخرج الزّبون أبدا وفي نفسه شيءٌ من الغضب أو الانزعاج من إدارتي أو شركتي أو عيادتي.. وهكذا في الدّول النّاطقة باللّغة الانجليزية يقابلك موظّفُ الاستقبال بابتسامة، ثمّ يبادرك: Can i help You، هل أستطيع مساعدتك..؟

فهو في الأصل هناك للمساعدة والخدمة والتّوجيه واختصار وقت الإدارة والمراجعين على حدّ سواء، ويقبضُ راتبه على هذا الأساس.. ورزقه، والرّزق على الله، يعتمدُ على تلك الابتسامة وذلك التّرحيب والاستقبال الحارّ الذّي يقابلُ به الضّيوف والمُراجعين.

إنّ المظاهر السّلبية في الخدمة والاستقبال لدى كثير من المؤسّسات الخاصّة تؤشّرُ إلى أنّنا انتقلنا إلى القطاع الخاصّ واقتصاد السّوق وَحَمَلْنَا معنا، للأسف الشّديد، مخلّفات ورواسب القطاع العام، بوعي أو دون وعي..!!

إنّ المطلوب من القطاع الخاصّ في بلادنا هو إعلان القطيعة الصّارمة مع عقليات وسلوكيات الماضي الإدارية، ومن ثمّ الانفتاح الحقيقيّ الجادّ على الجديد في مجال الاتّصال والتّعامل مع الآخرين والآليات الحديثة في خدمة العملاء والزّبائن، وهي فنون تُدَرّسُ على أعلى المستويات وتُعطى فيها الشّهادات ويُقدّر فيها أصحاب الخبرات، وهي في مضمونها غير غريبة عنا وعن ثقافتنا وتراثنا، ففي نصوص ديننا وأدبيّاتنا نجدُ الابتسامة والمساعدة والتّطوع والكلمة الطّيبة، ونجدُ قبل ذلك وبعده إتقان العمل والإحسان فيه.

إنّ الابتسامةَ ومساعدةَ الزّبون هي مفتاح كثير من الأعمال في عالَم اليوم، والمؤسّسات النّاجحة في العالَم المتقدّم تعلّمُ الموظّفين لديها، خاصّة الذّين يتعاملون مع الجمهور والزّبائن، فنونَ الابتسام، حتّى يتمكّنوا من كَسْبِ زبائن جدد والحفاظ على القدامى.

والابتسامةُ لها مفعول أقرب إلى السّحر، وليس أمام من يريد التّواصل مع الآخرين سوى تعلّمها لتصير ملازمة له وجزءًا من تركيبة شخصيته ومظهره الخارجي..

وَفِي ديننا الحنيف نجدُ ذلك وبتأكيد وترغيب، ومن ذلك قول الرّسول صلّى الله عليه وسلم: (تبسُّمُكَ في وجهِ أخيكَ صدقةٌ)، وقوله: (لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعروفِ شيئًا، ولو أنْ تَلْقى أخاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ).

يقول المثل الصّينيّ: "الذّي لا يحسن الابتسامة لا ينبغي له أن يفتح متجرا"، وَأَطْرَفُ ما قرأتُ مؤخّرا في إحدى الجرائد الوطنية: "سيضطرّ عمّال شركة نقل عبر السّكك الحديديّة باليابان إلى الابتسامة أمام جهاز خاصّ يمنح نقطة وملاحظات للعامل قصد تحسين ابتسامته ومن ثمّ تحسين استقبال الزّبائن، ويبلغ عدد العمّال المعنيين خمسمائة عامل، واستعانت عدّة شركات يابانية بهذا الجهاز من أجل تحسين نوعية ابتسامات عمّالها لتحسين نوعية استقبال الزّبائن".

مخلّفاتٌ كثيرةٌ ورواسبُ قد تعود إلى عقود طويلة شكّلت أجزاء مهمّة من نفسية المواطن الجزائري وتحتاجُ من المتخصّصين والمرشدين والباحثين والإعلاميّين إلى مراجعةٍ ونقدٍ وتقويم..

وإذا كنا نفتخرُ بأنّ الجزائريّ مباشرٌ وصريحٌ ولا يقبلُ اللّفّ والدّوران والمجاملات الفارغة كما هي عادة شعوب عربية أخرى؛ فإنّ الوقت قد حان لمصارحة أنفسنا والبحث بجدية في أسباب هذا التّجهّم والعُبوس والكلام الخشن الذّي يطبع نسبة كبيرة من أبناء شعبنا، ومن مختلف الفئات حتّى النّساء..؟

بحثٌ يقودنا إلى الدّواء المناسب، **وخلال سنوات معدودة ستكون الابتسامات والمجاملات والكلمات الحلوة الطّيبة هي سيّدة الموقف**، ونُودّع حينها سنوات "الجفاف اللّفظيّ" و"التّصحّر العاطفيّ"، ونرى النّتائج بعد ذلك في علاقاتنا ومؤسّساتنا وطرقاتنا وحتّى في قطاعنا السّياحيّ وحجم الاستثمارات العربية والأجنبية في البلاد..

يقول أحدهم: الألفاظُ هي الثّياب التّي ترتديها أفكارنا فيجب ألا تظهر أفكارنا في ثياب رثّة باليّة.

2009-07-16

إِرْحَمُوا الشَّبَابَ فِي شَهْرِ الرَّحْمَة

قبل ساعتين من المقابلة الأخيرة للفريق الوطنيّ، وحين كنتُ متوجّها مع بعض جيراني إلى صلاة التّراويح، صَدَمَني أحدُهم بخَبَرٍ طَالَعَهُ في إحدى الصّحف الوطنيّة مَفَادُهُ أنّ شابًّا جامعيًّا قال إنّه سينتحرُ في حال خَسِرَ الفريقُ الوطنيُّ أمام ضيفه الزَّامْبِيّ في البُلَيْدَة.

وبداية وعملا بتلك القاعدة التّي تقول إنّ "وراء كلّ سلوك نيّة إيجابيّة"، نتوجّه بالتّحيّة الحارّة إلى ذلك الشّابّ وأمثاله من مناصري الفريق الوطنيّ، وجميع الذّين يعبّرون من خلال هتافاتهم وأحاديثهم وتنقّلاتهم، وحتّى مشاغباتهم، عن مشاعر وطنيّة فيّاضة وحبّ حقيقيّ للجزائر بكلّ أمجادها الماضية وتاريخها الحافل بالمفاخر، وحتّى حاضرها رغم المرارات الكثيرة التّي تَشُوبُه.

نتوجّه له ولهم بالتّحية..

لننتقل بعدها إلى الخطوة التّالية وهي التّأكيد على أنّ الوطنية والذّوبان في عشق الجزائر قد تكون لهما أوجه أخرى كثيرة غير الانتحار حزنًا على خسارة في مباراة كرة قدم، أو إزعاج المواطنين وإحداث الفوضى في الطّرقات باسم التّعبير عن الفرح ونشوة الانتصار، أو الحزن والانتقام والتّخريب والتّدمير باسم التّعبير عن خيبة الأمل بعد الهزيمة..؟؟

عدتُ من صلاة التّراويح وتابعتُ الدّقائق الأولى من المباراة ثمّ انصرفتُ إلى عمل آخر، وكنتُ أتمنّى من كلّ قلبي أن يفوز فريقنا الوطنيّ على ضيفه الزّامبي، حتّى لا ينتحر ذلك الشّاب الجامعيّ من جهة، وحتّى تعود الجموعُ التّي تَجَمْهَرَتْ في ملعب البُلَيْدَةِ بأمن وسلام وعافية ولا يجد "المشاغبون ومرضى النّفوس" فرصةً لإحداث

الفوضى وتخريب الممتلكات العموميّة والخاصّة، لتتكبّد الخزينةُ متاعبَ ماليّةً جديدةً تتحمّلُ الطّبقة الكادحةُ تداعياتها المباشرة وغير المباشرة.

التفكيرُ الموغلُ في الخطأ الذّي سار فيه ذلك الشّابّ الجامعيّ يدفعنا إلى التّساؤل عن أجيالنا الصّاعدة وجرعات الأخلاق والمبادئ والأهداف الجادّة التّي يُفترض أن مناهجنا التّعليمية قد شرّبتها لهم عبر سنوات طويلة..؟

والتّساؤل أيضا عن نظرة أجيالنا الشّابة لمستقبل الجزائر والحال الذّي ستكون عليه بعد عشرين أو ثلاثين سنة على الأقلّ، وأيضا، وهو المهم، الدّور المنوط بهم للإسهام في صناعة المستقبل المشرق واللّحاق بركب الدّول المتقدّمة..؟؟

وهكذا لنا أن نتساءل أيضا وبمرارة:

هل يدرك شبابنا إلى أين تسير البلاد ويفرّقون بالتّالي بين الأهداف الاستراتيجية الكبيرة ومباراة كرة قدم، وحتّى مُونْدْيَال يتكرّر كلّ أربع سنوات يربح فيه من يربح ويخسر فيه من يخسر ويعود الجميع إلى بلدانهم..؟!

السّؤال مهمّ للغاية لأنّنا ندرك جميعا أنّ الكرة تدور كما يقال، وحتّى الحروب التّي تحدّد مستقبل شعوب وأمم كاملة تقول عنها

العرب قديما: "الحرب سِجَال".. فما بالنا بقطعةِ جلدٍ منفوخةٍ بالهواء تتدحرجُ بين أرجل أكثر من عشرين لاعبا..؟؟

ألا يمكن أن تخطئ الهدف مرّة، وأن تضيعَ الخطّةُ المحكمةُ هباء منثورا بسبب إصابة لاعب، أو قوّة لم تكن متوقّعة عند فرد من الفريق الخصم، أو هبوط نفسيّ ومعنوي مفاجئ لأحد أركان الفريق.. وهلمّ جرا..؟

إنّ إطلاق العنان للأحلام الوردية مشروع ومطلوب ومرغوب.. أحلامٌ عريضةٌ بالفوز في هذه المباراة أو تلك وبالتّأهّل لكأس العالم، وحتّى التّفوّق على أقوى الفرق العالمية وحيازة اللّقب العالميّ لأوّل مرّة في تاريخ الجزائر، لكن خطّ الرّجعة مطلوب أيضا، خاصّة بالنّسبة للجماهير المُنَاصِرَة، لأنّ التّعويل على "كرة دائريّة متدحرجة" ووضع جميع آمال الشّباب على ظهرها "غير السّوِيّ" هو عين الخطأ، إن لم يكن جريمة مع "سبق الإصرار والتّرصّد".

لا أدري لمصلحة مَنْ تُشحنُ الجماهير بهذا الشّكل الفظيع حيث تحاولُ جهاتٌ إعلاميةٌ وغيرها ربطَ جميع فئات الشّعب، نفسيًّا وعقليًّا، بالفوز والتّأهّل وكأنّ القيامة ستقومُ إذا لم نصل إلى مُونْدْيَال جنوب أفريقيا 2010، وكأنّ جميع مشاكلنا ومظاهر

تخلّفنا في عدد من المجالات الحيويّة ستجدُ طريقها إلى الزّوال بمجرّد تأهّلنا أو حتّى فوزنا بكأس العالَم..!!

إنّ تَقَدُّمَنَا في ميدان كرة القدم، والتّفوّق الرّياضيّ عموما، هو نتيجة لمعطيات أخرى وخطوات مهمّة نقطعها في جميع المجالات، **لأنّ رياضة التّصفيق والصّفير والمسيرات والأعلام والرّايات ليست هي الأساس،** فالرّياضة قبل كلّ شيء هي تلك العادات التّي تتأصّلُ بين أغلب طبقات الشّعب لتكون "أرصفتنا الواسعة" و"واجهاتنا البحرية الفسيحة الجميلة" و"حدائقنا العامة التي تعدّ بالآلاف" ميدانًا للكهول والشّباب وحتّى الشّيوخ، يمشون ويُهرولون في الصّباح والمساء.. تجسيدا للرياضة وإيمانا بفوائدها الصّحيّة والاجتماعيّة، لتزول تلك الصّورة السّلبيّة تماما، حيث رياضة الأحاديث الطّويلة والجدال والنّقاش بأصوات عالية عن الملاعب والفِرَق، وذلك اللّاعب الذّي اشتراه النّادي الفلانيّ والآخر الذّي غادر إلى تلك الدولة الأوروبية أو الخليجية بِعَقْدٍ فيه كذا وكذا من المبالغ والمحفّزات.

وأخيرا إلى جميع من يعنيهم الأمر: **إرحمونا يرحمكم الله في شهر الرّحمة.. لا تختصروا أحلام شبابنا في مباراة، أو حتّى في التّأهّل..** إلا إذا كنتم تعتقدون جازمين، ولكم على ذلك براهين وأدلّة يقينيّة،

أنّ التّأهّل لكأس العالم سيعبّدُ شوارعنا ويخلّصها من الحُفر المزمنة، ويعيدُ آلاف المَلَايِير المنهوبة المسلوبة من أموال الشّعب، ويكسرُ الرّوتين القاتل في الإدارات، ويحرّكُ مياه الحياة السّياسية الرّاكدة، ويطلقُ أوّل قاطرات الميترو من أسرها لتبدأ العمل، ويوقفُ قوارب "الحَرَّاقَة" إلى الأبد، ويرفعُ أكوام القمامة من شوارعنا وأحيائنا لتعود نظيفة تسرّ النّاظرين.

2009-09-10

الشَّرْعِيّةُ اَلْكُرَوِيَّة

عندما وضعتُ سمّاعةَ الهاتفِ مُنْهِيًّا المكالمة شعرتُ بجسامة الورطة التّي وقعتُ فيها، فقد ألزمتُ نفسي سهوا بموعدٍ في وسط مدينة البُلَيْدة.. والأمر عاديّ كما يبدو، لكنّه ليس كذلك لأنّ الموعدَ كان يوم مباراة الفريق الوطنيّ وضيفه الرّوانديّ ضمن التّصفيات المزدوجة لكأسيْ العالَم وأفريقيا.

الموعدُ كان صباحًا، وتحديدًا عند التّاسعة، وقد فكّرتُ في الاعتذار أو التّغيير لكنّني خجلتُ من ذلك، فالشّخصُ المقصودُ أكبر منّي سِنًّا وله منزلته ومشاغله.. وهكذا رحتُ أمنّي نفسي بأنّ صباح مدينة البُلَيْدَة سيكون عاديًّا لأنّ المباراة ستنطلقُ بعد صلاة المغرب، وشتّان ما بين موعدي وموعدها.

بكّرتُ لكي أصل في الوقت المحدّد، ودخلتُ المدينة ورحتُ أتوغّل بشكل عاديّ، لكنّ الأمر لم يدم كذلك، فما إن توسّطتُ الطّريق السّريع الدّاخليّ للبُلَيْدَة حتّى بدأت حركةُ السّير تتباطأ إلى أن صارت شبه متوقّفة لتبدأ مشية السّلحفاة المعروفة خلال الاختناقات المروريّة، ولِأُفَاجَأ بعدها أنّ الطّريق مقطوعةٌ بحواجز أمنيّة، وأنّ عناصر الشّرطة تقوم بتحويل حركة المرور إلى طريق آخر.

سرتُ مع السّائرين وتحوّلتُ إلى المسار الثّاني ليتحوّل بدوره إلى مسار ثالث عبر حواجز وتوجيهات رجال الأمن.. وبعد جهد جهيد وحين ظننتُ أنّني قد اقتربتُ من المكان الذّي أقصده؛ وجدتُ حاجزا آخر للشّرطة وتحويلا جديدا لحركة السّير، فرحتُ، مُسَيِّرًا لَا مُخَيِّرًا، أتابعُ قوافل السّيارات في طريق كثيرة الحُفَر، لأجد نفسي بعدها مضطرا للسّير حسب توجيهات شرطيّ يقف وسط الطريق،

لأكتشفَ لاحقًا أنّني أقودُ مركبتي في طريق العودة من حيث أتيتُ، أي نحو العاصمة..!!!

أدركتُ كم كنتُ "ساذجا" عندما ظننتُ أنّ مدينة البُلَيْدَة ستظلّ على حالها، وأنّ المباراة لن تؤثّر في مسار حياة أهلها إلّا القليل، وعرفتُ بعد ذلك ما هو أعظم عندما حدثّني صاحب هاتف عموميّ متقدّم في السّن، عن مخاوف أهل المدينة من احتمال خسارة الفريق الوطنيّ أمام ضيوفه الأفارقة، وقال ذلك الشّيخ بالحرف الواحد:

لو خسر فريقنا المباراة فأخشى أن يُرحِّلُوا البُلَيْدَة إلى بُوفَارِيكْ.

أعترفُ بأنّني محدود "الدّراية والرّواية" بأحوال كرة القدم وتفاصيل بطولاتها الوطنيّة والدّوليّة، وأقصى ما أستطيع أن أبذل من الوقت في هذا الشّأن أن أشاهد، عبر التّلفاز طبعا، المباريات المصيريّة التّي يخوضها الفريق الوطنيّ، إضافة إلى المباراة النّهائية في كَأْسَيْ العالَم وأفريقيا.

محدوديّةُ الدّراية بهذا المجال جعلتني أتساءلُ عن مدى مشروعية خوف ذلك الشّيخ البُلَيْدِيّ وتوجّسه من أيّ عواقب وَخِيمَة، مع أنّني ودّعتُه وأنا أدعو معه أن يفوز الفريق الوطنيّ لتفادي أيّ غضب أو مواجهات يقودها بعض الأنصار السّاخطين، وذلك عند

حدوث تلك المفارقة الشّنيعة، وهي الغضب لأجل الجزائر وسمعة الجزائر الكروية عبر تحطيم ما يقع تحت اليد من ممتلكات دولة وشعب الجزائر..!!!

كنت أفكّرُ في العوامل التّي تشكّلُ عقليّةَ التّخريب خلال رحلة الانصراف من مشاوير التّشجيع في الملاعب، وتذكّرتُ أنّني سمعتُ في مناسبة كرويّة ماضية أنّ الكثير من الأنصار يدخلون الملعب قبل سبع ساعات من موعد المباراة، وينتظرون هناك على المدرّجات، لكنّ ذلك لم يكن مبرّرا كافيا لصناعة "الاضطراب النّفسيّ" المناسب والمؤدّي إلى أعمال التّخريب والاعتداء على الأملاك الخاصة والعامة.

ولم يطل الأمر كثيرا فقد عرفتُ خلال عدّة أحاديث مع الضّالعين في شؤون الكرة وأهلها أنّ بعض الأنصار يرابطون إلى جوار ملعب البُلَيْدَة منذ أسبوع، حيث ينامون ويأكلون كيفما اتّفق، فقد حضروا من ولايات بعيدة، ولا حول لهم ولا قوّة على الفنادق وأسعارها والمطاعم ونيرانها..!!

وإذا حذفنا "القيمة المضافة" من خلال المبالغة التّي تَعَوّدَ الكثيرون عليها، فإنّ "العدد الصّافي" سيظلّ ثلاثة أو أربعة أيام من "اَلْمِيزِيرِيّة" يقضيها بعض الأنصار في انتظار الموعد، ليصعدوا بعدها

إلى المدرّجات ويختلطوا بالآلاف المؤلّفة التّي تدخل قبل عدّة ساعات، ثمّ تأتي المباراة بدقائقها التّسعين المشحونة بالإثارة والتّوتّر والضّغط النّفسيّ العاليّ لتزيد الطّين بِلّة..؟؟

كيف سيتصرّفُ أولئك الأنصار في حال الهزيمة وبعد تلك الأيّام "الطّويلة" من الانتظار والتّرقّب الشّديد..؟ وبعد أن وضعوا أمامهم خيارا واحدا وهو النّصر فقط.. مع أنّ الكرة دائرية متدحرجة، وكم حملت، وما زالت، في داخلها من المفاجآت والمفارقات في ملاعبنا الوطنيّة وملاعب العالَم جنوبه وشماله..؟

دعونا نترك الأمر لأهله ونسأل "أهل الذّكر"، أولئك المختصّين في علم النّفس، ليغوصوا في نفسيّة عيّنة من الأنصار، خاصّة أولئك الذّين قضوا ثلاثة أيّام يفترشون الكرتون أمام باب الملعب.. ماذا ستكون تصرّفاتهم في حال الفوز السّاحق أو حتّى العادي..؟ وكيف ستكون إذا حدثت الهزيمة..؟

خمّنتُ في إجابات المختصّين النّفسانيّين فعادت إلى ذهني مخاوف ذلك الشّيخ البُلَيْدِيّ وقدّرتُ مبرّرات فَزَعِه، وحمدتُ الله أنّني لا أسكنُ إلى جوار ملعب كرة قدم يستضيفُ مباريات دوليّة.

إنّ الاعتدال والوسطيّة هُمَا رأس الحكمة، وإنّ إخراج لعبة كرة القدم عن إطارها الطبيعيّ وتحويلها إلى ملحمة وطنية ومعركة

مصيرية أمر فيه قدر من التّطرف والانحراف، وأتصوّر أنّه يضرّ أكثر ممّا ينفع، وعليه فإنّ ظاهرة الأعلام الوطنية التي شاهدناها بعد المباراة الأخيرة، مع ما فيها من إيجابية، تطرحُ تساؤلا كبيرا عن الهدف الذّي تتّجه نحوه الذّاكرة الجَمْعِيّة للأجيال القادمة، لأنّ عيد الاستقلال قد غادرنا قبل ثلاثة أشهر ونصف تقريبا، **ولم نشهد نصفَ ولا ربعَ ولا سدسَ الأعلام الوطنية التّي رُفعت بعد العرس الكرويّ الذّي شهدته البُلَيْدَة**، وعيد الثّورة على الأبواب فهل نطمعُ أن نصادفَ بعض ما شهدناه في مهرجانات ومسيرات الانتصار على رُوَانْدَا..؟

لقد دَنْدَنَ الكثيرون، وفي مناسبات مختلفة، حول الشّرعيّة الثّوريّة ومتى تفسحُ الطّريقَ أمام الشّرعيّة الشّعبية، ويبدو أنّ الأمر تحقّقَ بشكل آخر، فهاهي الشّرعيّة الكُرويّة تسبقُ الجميع وهي ترفع الرّايات الوطنيّة في كلّ مكان.

2009-10-17

اَللَّهُمَ انْصُرْهُمْ فِي مَبَارَاةِ الْقَاهِرِة

"يعتقدُ المؤرّخون أنّ الصّينيّين مارسوا لعبة تضمّنت رَكْلَ كرةٍ بالأقدام منذ أَلْفَيْ عام. ويُقال إنّ الرّومانيّين القدماء كانوا يشجّعون نوعًا من كرة القدم كجزء من التّدريب العسكريّ. ومن المحتمل أن تكون هذه اللّعبة أُدْخلت إلى الجزر البريطانيّة إمّا بوساطة الرّومان أو في وقت متأخّر بوساطة النُّورْمَنْدِيّين".

ذلك بعض ما جاء في الموسوعة العربيّة العالميّة حول لعبة كرة القدم..

وتضيفُ تلك الموسوعة القيّمة:

"هناك مسرحيّة تاريخية عن مباراةٍ لكرة القدم أُقيمت بالقرب من لندن في يوم ثلاثاء المرافع عند النّصارى عام 1175م. وقد أصبحت المباريات التّي تُقام في ثلاثاء المرافع مشهورة بأنّها كرة قدم الغوغاء، حيث كان مئات الشّباب يجرون وراء إحدى الكُرَات مخترقين الشّوارع بهمجية وعشوائية. وقد أدّى هذا إلى قيام إدوارد الثّاني بإصدار قرارٍ بتحريم لعبة كرة القدم عام 1314م. أظهر الملوك فيما بعد استياءهم تجاه هذه اللّعبة لأنّها كانت تعرقلُ التّدريب على الرّماية بالسّهام. إلا أنّ كرة القدم ظلّت باقيةً وأصبح لها شعبيتها في جميع أنحاء إنجلترا بحلول أوائل القرن التّاسع عشر الميلادي".

تحدّثت الموسوعةُ بعد ذلك عن وضع قواعد لكرة القدم، وتطوّر بضع أنواع منها وبدء ظهور الأندية والمسابقات في بريطانيا، إلى أن وصلت إلى مرحلة "العالميّة" بتأسيس الفيفا عام 1904.

إنّها لعبةٌ شعبيّةٌ شيّقةٌ ينساقُ إلى ممارستها ومتابعتها الصّغار والكبار على حدّ سواء، وتتحقّقُ من خلال المباريات علاقاتٌ طيّبةٌ بين

الأحياء والقرى والمدن على مستوى البلد الواحد، كما تربطُ المباريات أيضا بين الشّعوب وتقاربُ بينها وبين ثقافاتها ولغاتها.

بل إنّ كرة القدم ساهمت في تخفيف التّوتر بين شعوبٍ أدمنت العداوة والبغضاء لعقود طويلة، ولعلّ آخر مثال هو تلك المباراة الودّية التّي جمعت فريقيْ كلّ من أَرْمِينْيَا وتركيا بحضور رئيسيْ الدّولتين اللّتين بَدَأَتَا مؤخّرًا تطبيع العلاقات بعد قرابة القرن من العداء والتّشاحن المُؤسّس على خلافات وادّعاءات تاريخيّة متبادلة..

لقد أذابت الكثيرُ من مباريات كرة القدم الجليد بين دول وشعوب كانت تعيشُ فترات من الفتور الدّبلوماسيّ، وأعادت الدّفءَ إلى علاقاتها فأثمر ذلك مبادلات ثقافيّة واقتصاديّة وسياحيّة.

هذه هي كرة القدم تلك القطعة الجلدية المنفوخة، التّي تدور وتدور وعندما تتوقّف عن الدّوران يكون أحد الفريقين قد رفع راية الفوز، بينما يبادر الفريق الخصم إلى تقديم التّهاني والاعتراف بالفوز، وحَادِيهُ في ذلك تلك الرّوح الرّياضية العالية التّي تميّزُ كرة القدم وجميع أنّواع الرّياضات والمسابقات.

مباريات الذّهاب والإياب في التّصفيات والبطولات الدّولية فرصةٌ لتبادل الثّقافات والتّعارف والتّقارب بين الشّعوب، وتشجيع وترويج السّياحة وحتّى الاقتصاد.. هكذا ما كنتُ أعتقدُ أنّه الهدف من مباريات كرة القدم أو جزء منها على الأقل، حتّى ونحن نعيشُ مرحلة محاولات نقل كرة القدم من كونها لعبة شعبية بريئة إلى ذلك "المَقْلَب" الذّي يجني من ورائه بارونات الإعلام والإعلان الملايين تلو الملايين..!!

كنتُ أعتقد ذلك وأظنّ أنّ بعض تلك الرّوح الرّياضيّة العريقة بين الرّياضيّين والمناصرين ما زالت حاضرة رغم ما حدث لهذه الكرة المستديرة، ورغم حجم التّهور والسّخافات التّي صدرت عن البعض في المساجلات الدّائرة حول تنافس الفريقين المصريّ والجزائريّ..!!

ذلك الاعتقادُ والظّنُّ الحسنُ نَسَفَتْهُ العناوينُ الصّحفيّةُ الرّياضيّةُ في بعض صحافتنا المكتوبة.. عناوين كثيرة تصوّرُ المباراةَ على أنّها معركة حقيقية ربّما تستعمل فيها جميع أنواع الأسلحة..!!!

ويمكن القول بكلّ بساطة إنّ ما شهدته السّاحة الإعلامية الجزائرية في الشّهور الأخيرة كان فوق حجم الحدث الكرويّ، وأكثر بكثير من المناصرة والتّعبئة المطلوبة للجماهير، والنّتيجة أنّ الفوز في

مباراة كرة قدم صار مسألة حياة أو موت وقضية مُقَدَّمة على جميع الأولويات وقادرة على التّغطية حتّى على أكبر حدث في تاريخ الجزائر الحديثة وهو انطلاق شرارة الثّورة التحريرية..!!!

ولا يعني ذلك أنّ الشّقيقَ المصريَّ يعيشُ في أعلى درجات الوعي والرّوح الرياضية، فلدى القوم ما لدينا، وربّما أكثر في بعض جوانبه، خاصّة تلك المهاترات الإعلامية الفضائيّة السّخيفة، ولو سمحنا لأنفسنا بالإغراق في نظريّة المؤامرة لقلنا إنّ الجهات المستفيدة هنا وهناك على وفاق تام، بل تنسّق بينها وتتبادل الخبرات والمعلومات..؟؟

إنّها مباراةٌ مثيرةٌ وحسّاسة، وعلينا أن نعترف أنّها "تاريخيّة" كما دأبت بعض الأقلام الصّحفية على وصفها.. تاريخيّة من خلال هذا التّوتّر الحادث بين شعبين شقيقين، وهذه التّعبئة التّي تجاوزت جميع الحدود المعقولة حتّى أسدلت ستارا كثيفا معتما على أكبر القضايا الوطنية والعربية حساسيّة وارتباطا بالماضي والحاضر والمستقبل.

إنّ المفارقة في هذه المباراة الأخيرة التّي تجمع الفريقين الشّقيقين الجزائريّ والمصريّ، أنّ عدد اللاعبين فيها أكثر بكثير من أولئك الذّين يتواجدون على أرض الميدان ولا يزيد عددهم عن الاثنين وعشرين لاعبا..؟؟؟

إنّ عددا كبيرا يلعبُ المباراة فعلا بطريقته الخاصّة خارج جدران الملعب.. **كلٌ يلعبها بما يناسب مخطّطاته ومشاريعه وأجندته الحاضرة والمستقبلية.**

على أرضيّة الملعب، ورغم كلّ الألم من هذه البهرجة والشّحن المشبوه، نتمنّى أن يفوز فريقنا الوطنيّ الجزائريّ، وهي مشاعر طبيعيّة جدا، فكلّ مواطن يتمنّى لفريق بلاده الفوز ودون ذلك تظلّ المنافسات بلا طعم ولا لون ولا رائحة، أمّا خارج الميدان فنسأل الله أن يُهْزَمَ جميعُ الانتهازيّين والوصوليّين والمخرّبين والنّفعيّين ويجعل مخطّطاتهم وَبَالًا عليهم..

وخارجُ الملعب أيضا نرفعُ أَكُفَّ الدّعاء أن يفوز الفريق الذّي يكلّله العقلُ والمنطقُ والتّاريخُ والأخوّة والرّوح الرياضيّة.

2009-11-14

الاسْتِقْلَال.. وَالسِّيَادَةُ اللُّغَوِيّة

نحتفلُ هذه الأيّام بالذّكرى الثّامنة والأربعين لعيد الاستقلال وجلاء المستعمر الغاشم الذّي جثم على صدر الجزائر مدّة قرن وثلث قرن وخلّف وراءه سجّلا عامرا بشتّى أنواع الجرائم، وصنع بيديه عارا لن تغسله مياه البحر المتوسّط الذّي رَكِبَهُ في رحلة غزوه ومهاجمته للسّواحل الجزائريّة.

الذّكرى الثّامنة والأربعون لعيد الاستقلال تدقُّ في مسيرتنا طبولا كثيرة، أو هكذا ينبغي، وتفتحُ أعيننا على قضايا وزوايا وخبايا وخفايا ما كان ينبغي لها أن تظلّ مظلمة مجهولة بعد هذه السّنوات الطّويلة من رفع راية الحرية والاستقلال..؟؟

قضايا كثيرة في تاريخنا وأخرى في مختلف محطّات عقود الاستقلال.. قضايا لم تأخذ حقّها في (البيان والتّبيين) لتصبح العِبر المستخلصة منها منارات وعلامات على الطّريق تنبّهنا قبل الوقوع في المناطق المحظورة، وما يمكن أن تجنيه من خسائر على المسيرة.

الذّكرى الثّامنة والأربعون ستنقلنا إلى الذّكرى التّاسعة والأربعين ومن هناك نجد أنفسنا وَجْهًا لِوَجْهٍ مع العيد الذّهبيّ ومرور نصف قرن على الاستقلال، وهو مناسبة وموقف يضعُ كلَّ جزائري حرّ شريف أمام عدد كبير من الأسئلة المحرجة في شتى المجالات خاصّة ما تعلق منها بالقضايا الوطنية الحسّاسة، ومكانتنا ومستوى إنجازاتنا مقارنة بالدّول التّي تشبهنا تاريخا واستقلالا واقتصادا وموارد كثيرة على ظهر الأرض وبين طبقات باطنها..؟؟

سَنَتَان فقط ونكون على أبواب المحطّة التّاريخية العظيمة:

خمسون سنة كاملة على طريق الاستقلال ودولة الجزائر التّي يحكمها أبناؤها الخلّص.. يبنون ويشيّدون ويصنعون الأمجاد

الاقتصادية والثّقافية والسيّاسية، ويبدعون في ذلك كما أبدعوا خلال سنوات الاحتلال من خلال الثّورات المستمرة والصّمود وتوريث القضية الوطنية من جيل إلى آخر دون كلل أو ملل أو يأس وقنوط، ودون مجرّد التّفكير بالاستسلام لجبروت الواقع الذّي فَرَضَهُ المستعمرُ على النّاس.

سنوات طويلة جدا شهدت أحداثا عالميّة كبيرة، وتغيّرت خلالها دول وشعوب وثقافات، وسقطت كتل ومنظّمات وأحلاف وجاء من جاء على أنقاضها.. فماذا حقّقنا في كلّ تلك السّنوات..؟؟

وما هو حجم الفرص الاقتصادية والسّياسية التّي اقتنصناها فصارت أرقامًا راسخةً في رصيد النّمو الحقيقيّ..؟؟

هناك إنجازات لا تخطئها العين ولا يجحدها إلا مكابر: تعليم مجانيّ وعلاج كذلك وإن بدأت تشوبه الشّائبات بسبب تراكمات السّنوات الماضية، وهناك من المنشآت العملاقة الكثير، والمساكن التّي تعدّ بالملايين والطّرقات السّريعة المتزايدة، كما نجد في قوائم نجاحات أكثر القطاعات حضورا فاعلا لأفعل التّفضيل.. فأكبر مصنع في أفريقيا، وأطول جسر في كذا، وأعلى نسبة هنا أو هناك.

إنّها مسيرة ما زالت في تصاعد مستمرّ بلغة الأرقام والإحصائيات الرّسمية على الأقلّ..

لكنّ السّؤال الخطير يتّجه إلى حالة الإنسان فهو أساس ومبرّر كلّ هذا العمران وتلك الإنجازات والمشاريع..؟؟؟

أين هو بعد هذه السّنوات الطّويلة من عمر الاستقلال...؟؟؟

أين الجيل الصّاعد، وأين يتّجه بتفكيره ولغته وثقافته ومدى جديّته في خدمة وطنه وثباته على الجغرافيا وتشبّثه بالتّاريخ...؟؟؟

سؤالٌ جديرٌ بنا أن نطرحه على أنفسنا ونجيب عنه بدقّة، وليت مراكز الدّراسات وسبر الآراء عندنا توليه اهتماما خاصا وترصده بشكل دقيق، ولا تنشره بالضّرورة على الملأ إن كان في ذلك مصلحة.. بل يكفينا أن يصل بأمانة إلى صنّاع القرار..

سؤال عن جنون الهجرة والرّغبة في الخروج ونسبتها بين الشّباب، وإن كان الأمر في تلك المستويات العادية التّي تفرزها الرّغبة في الأسفار وروح المغامرة لدى الشّباب، أم أنّها نسبة عالية تعكسُ روحًا سلبيّةً تملؤها الشّكوك في مستقبل الوطن بعد الهزّات العنيفة التّي شهدها جيل الشّباب الحالي...؟؟؟

ربّما قصّرنا في مجالات عديدة ولم يحالفنا الحظّ، وربّما تحالف ضدنا أعداء كُثُر في الدّاخل والخارج، وقد نستسلم لنظرية المؤامرة ونرثي حالنا في قصائد ومقالات وحتّى ملاحم طويلة.. لكنّ البكاء

على ما فات والوقوف عنده لم يكن أبدا من شِيم الحكماء والجادّين الذّين يسعون إلى تحقيق شيء ما، ودفع المسيرة إلى الأمام.

وقد نعتذر بعقبات يشهدها العالم أجمع، وآفات لم تسلم منها الدّول الكبرى، لكنّنا لن نجد عذرا، ولو سخيفًا تافهًا، لوضعنا اللّغويّ وبلادنا تخطو نحو نصف قرن من الاستقلال الذّي أراده الشّهداء شاملا كاملا لا يكدّره أيّ شيء من بقايا المستعمر الغاشم.

ما أجدرنا أن نعدّ العدّة من الآن للاحتفال بالذكرى الخمسين للاستقلال عبر بوّابة اللّغة والسّعي نحو تحقيق الانعتاق التّام فيها من مخلّفات المستعمر.. حركة وعي عامّة شاملة تجعلنا نغنّي بعد سنتين ونرفع رايات السّيادة اللّغوية الكاملة وإن تأخّرت كلّ هذه السّنوات.

لقد عاش الفيتناميّون بالفرنسيّة مثلنا وتربّت عليها كوادرهم، لكنّهم اتّجهوا بعد الاستقلال مباشرة نحو لغتهم الوطنية التّي اعتبروها مقدّسة رغم أنّ الحكم كان شيوعيا لا يعترف بالمقدّسات.

بادروا إلى تعميم لغتهم في جميع مراحل التّعليم الأوّلية، ولم يكتفوا بذلك ولم يتحجّجوا بأنّ الجامعة في حاجة إلى وقت إضافي خاصّة الكليات العلمية منها.

لقد تلكّأ القائمون على كلّية الطّب في البداية ولم يهضموا القضيّة، لكنّ الأوامر كانت صارمة بضرورة تحدّي المستحيل.. طلبوا مقابلة الرّئيس (هُوتْشِي مِنّه) وأوضحوا له حجم الصّعوبات البالغة التّي تعترضُ تحويل كليّة الطّب إلى اللّغة الفيتناميّة، واقترحوا التّدرّج في الأمر لعدّة سنوات، لكنّ القائد حسم الأمر وسمح لهم بِسَنَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ ليتعلّموا اللّغة الوطنية.

يقول أحدُ الأساتذة الفيتناميّين الذّين درّسوا بالفرنسية وتحدّثوا وفكّروا بها لسنوات طويلة: "**كان بعضُنا يقضي نصف يوم أو يوماً لإعداد الأسئلة بالفرنسيّة، لكنّه يقضي أيّامًا كاملة لكي يتمكّن من ترجمتها إلى الفيتناميّة**".. ومع تلك المصاعب تمّت العمليّةُ ونجحَ القومُ في التّحدي وحقّقوا السّيادة اللّغوية الكاملة.

2010-07-05

اَلْقَابِلِيَّةُ لِلْكَسَلِ وَالنَّصْبِ وَالْاحْتِيَال..!!

في أحد الأماكن العامرة بالعباد والجماد وسط العاصمة اهتديتُ إلى حظيرة سيّارات من ذوات السّعة المحدودة، فدخلتُ بعد أن دفعتُ الرّسم المفروض واستلمتُ تذكرة من ذلك النّمط الذّي يجمعُ بين الوقاحة وعدم المسؤوليّة والجشع، والسّبب أنّ التّذكرةَ كُتِب على وجهها خمسون دينارًا، أمّا على ظهرها فَتَنْبِيهٌ سَخِيفٌ بأنّهم لا يتحمّلون سلامة السّيّارات، فحضراتهم يوفّرون المكان "المقدّس" فقط.

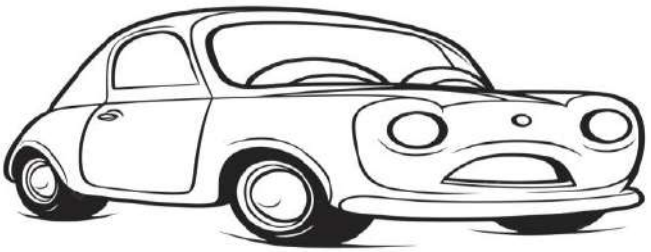

الغريبُ في الأمر أنّ تلك العبارة المستفزّة تتكرّر في تذاكر دخول كثير من الحظائر "المحترمة" في العاصمة، وهي دعوة صريحة للشّباب المغامر بأن يفعل ما شاء وكيف شاء بسيّارات المواطنين المطمئنّين في هذه الحديقة أو ذلك المرفق العمومي..!!

وإذا تساءل مواطن عما جرى لسيّارته قِيل له: احمد الله فقد بقيت العجلات والأبواب والهيكل، أمّا ما في الدّاخل فالبيان واضح على ظهر التّذكرة ونحن أبرياء مما حدث براءة الذّئب من دم ابن يعقوب..!!

على كلّ حال ذاك موضوع آخر، فهلمّ بنا عزيزي القارئ لنعود إلى تلك الحظيرة والشّاب القائم على أمرها، لنصل من هناك إلى مربط الفرس.

لم أجد مكانا لسيّارتي إلا في موضع يسدُّ الطّريق على عدد من السّيارات المتوقّفة قبالة الجدار، فقلتُ للشّاب سوف لن أستعمل المكبح اليدويّ ومن هناك يمكنك دفع السّيارة برفق إلى أن تفسح الطّريق لمن يرغب في الخروج..

فقال ليست المشكلة في المكبح، إنّما المشكلة فيمن سيدفع السّيارة..؟؟

وبعدها خيّرني بين أن أعود في حدود ساعة ونصف بالضّبط أو أغادر الحظيرة، واخترتُ المغادرة طبعا فقد كنتُ في حاجة إلى عدّة ساعات لأكمل أشغالي التّي حضرتُ من أجلها.

الوقتُ هو نهار رمضان ولم يكن من المناسب الدّخول في جدال مع ذلك الشّاب المسكين، في طريقة تفكيره وفهمه لفلسفة العمل، ومع ذلك ظلّت بعض الكلمات حبيسةً في نفسي وتمنّيت لو أوصلتها إليه ليدرك الحقيقة المرّة، لعلّه يستيقظ من سبات الوهم الذّي يعيش فيه..!!

شابٌّ لا يملك أيّ مؤهّل أو حرفة يد ومع ذلك يترفّع عن جهد بسيط يُفترض أنّه من صميم عمله..!!

لو كان صاحب همّة وعزم لترك مثل هذه الأماكن لكبار السنّ وأشباه العجزة والمعذورين بَدَنِيًّا، وَلَرَكِبَ الصّعاب وكافح وتعلّم حتّى يبلغ شرف كسب القوت من عمل اليد وعَرَق الجبين.

ومسألةُ الترفّع، وربّما التّكبر، عن العمل تتكرّرُ في أماكن ومرافق كثيرة في مدننا الكبرى، وقد عبّر لي صديقٌ مرّة عن صدمته عندما عاد إلى أرض الوطن بعد غربة دامت عدّة سنوات..؟؟

وصل إلى العاصمة بعد رحلة مضنية من غرب أفريقيا، وحطّ رحاله مع أسرته في فندق متوسّط الحال.. أكمل الإجراءات والتفت

يميناً وشمالًا بحثًا عن العامل الذّي سيساعده في حمل الأمتعة إلى الطّابق الثّالث، فقال له موظّف الاستقبال بلغة مباشرة ودون أيّ محاولة لمجاملة أو اعتذار:

احمل حقائبك بنفسك فليس عندنا خدم يحملون أمتعة الزّبائن..!!

ومع اقتراب عيد الفطر المبارك انتشرت ظاهرة أخرى كالفطر، وهي عادية لو مارسها أطفالٌ أو أشبالٌ على سبيل التّسلية وجمع بعض الدّنانير لمصاريف العيد..؟؟

شابٌّ عريضُ المنكبين، طويل القامة يبيعُ مجموعة من البالونات، ولا يكتفي بذلك بل ينفخُ إحداها كما يفعلُ الصّغار ويلوّح بها في الهواء هكذا دون حياء من شاربه.. وتتكرُّر المواقف ويطول الحديث لو أرخينا لأنفسنا العنان.

والحقيقة أنّنا قد نَقْسُوا أحيانا على شباب "البَارْكِينْغ" وأشباههم من الذّين أخذوا الحياة من "أَكْسَلِ" أبوابها واستسلموا لنفوسهم الأمّارة بالسّوء، واختاروا أن يكونوا أصحاب "اليد السّفلى".. نعم قد نَقْسُوا عليهم خاصّة إذا تعرّضنا لتصّرفاتهم الاستفزازيّة الرّعناء.. لكنهم في واقع الأمر مرضى ولا بدّ من الانتباه إلى ضرورة علاجهم، ولا أقلّ من تنبيههم إلى أنّهم يقفون في المكان والوقت

غير المناسب، لأنّ مكان الشّباب من ذوي العضلات المفتولة والقامات الممدودة هو الجامعات والمعاهد والمصانع والمتاجر والمزارع وأيّ أماكن تتوفّر فيها فرص العمل الشّريف، ولو كانت في أعالي الجبال أو أقاصي الصَّحَارَى.

كلُّ ما سبق تزاحم على ذاكرتي وتفاعل من جديد وأنا أقرأُ خبرًا مفاده أنّ رئيس الجمهورية كلّف وزير التّجارة بالإشراف على مقترح تقدّم به وزير الدّاخلية والجماعات المحليّة يقضي بإعداد خطّة حكومية قابلة للتّطبيق تضع حدا لاحتلال الأرصفة والمساحات العامة من طرف متطفّلين على النّشاط التّجاري..

وبداية أتمنّى من كلّ قلبي أن ترى الخطّة المنتظرة النّور في أقرب وقت ممكن ليبدأ اقتصاد بلادنا مرحلة التّعافي الحقيقيّ، وتصبح أرصفتنا خالية إلا من المارّة وساحاتنا جميلة نظيفة تسرّ السّائحين..

أمنيةٌ يمكن أن تتحقّق لكنّها في حاجة إلى جهود أوسع لأنّ عدوى "القابليّة للكسل والنّصب والاحتيال والكسب السّريع المريح" قد أصابت قطاعات كبيرة من الشّباب.

إنّها أمراضٌ خطيرةٌ لأنّ الذّين أدمنوا الحصولَ على أموالٍ دون كدّ وجهد قد وضعوا أقدامهم على أوّل الطّريق المؤدية إلى الجريمة المنظّمة وغير المنظّمة والمخدرات وتدمير الاقتصاد الوطنيّ وبيع

الضّمير للأجنبيّ إذا توفّر العرض المغري.. لأنّ الهدف الوحيد هو الحصول على أموال دون إراقة قطرة عَرَقٍ واحدة.

إنّها أمراض تحتاج إلى تظافر جهود الجميع..

في حاجة إلى خبراء علم النّفس والاجتماع وعلماء الدّين والمفكّرين وغيرهم.. يجتمعوا في مراكز بحوث ودراسات ويتدارسوا عيّنات كافية من الشّباب، ويشخصّوا أسباب استشراء الدّاء ويصفوا الدّواء..؟

ونحتاج قبل ذلك وبعده إلى وقفة جادة ضدّ الفساد بجميع أشكاله، وضدّ أولئك الفاسدين الذّين علّموا الشّباب الكسلَ وانتظار الثّراء السّهل السّريع من خلال القدوة السّيئة التّي صارت بادية للعيان في طول البلاد وعرضها.

2010-09-04

بَيْتِي لَيْسَ لِلْبَيْع

في مذكّراته الموسومة بـ: "قصّة تجاربي مع الحقيقة" يتحدّثُ الْمَهَاتْمَا غَانْدِي، صاحب نظريّة اللاّعنف، عن تجربة مرّت به في صِبَاه حيث حاول الانتحار مع رفيق له بعد أن ضَاقَا ذَرْعًا بالقيود العائليّة.. ذَكَرَ غَانْدِي أنّه حاول الانتحار مع رفيقه وفَشِلَا في ذلك حيث خانتهما شجاعتهما في آخر الأمر على حدّ تعبير الزّعيم الهنديّ الرّاحل.

وحسب غَانْدِي في مذكّراته: اِفْتَرَضَ الرّفيقان سيناريو آخر، وهو أنّهما قد لا يموتان في الحال.. ثمّ تَسَاءَلَا عن الفائدة المرجوّة من قتل النّفس..؟

وبالتّالي استعاضا عن كلّ ذلك بالصّبر على فقدان الاستقلال داخل الأسرة..

ويواصل غاندي الحديث بعد ذلك فيقول: "لقد أدركتُ أنّ الإقدام على الانتحار ليس سهلا كالتّفكير به، ومنذ ذلك الحين أمسيتُ لا أتأثّر إلا قليلا، أو لا أتأثّر البتّة، كلّما سمعتُ أن امرءا يهدّدُ بالانتحار".

كلامٌ له وزنه عندما يصدرُ عن رجل فلسفة ودين ونضال مثل المهاتما غاندي، لكنّ المُؤَكّد أنّ هناك فروقا زمنية ومكانية وثقافية ودينية، وحتّى جغرافية طبيعية، بين حياتنا وتجاربنا والتّجربة التّي تحدّث عنها غاندي..

لكنّ المؤكّد أيضا أنّ تفكير الأطفال متقاربٌ عند جميع الأمم والشّعوب وعبر مراحل التّاريخ المختلفة، وأقصدُ تحديدا ذلك التّقارب في جانب الخوف من الألم والمجهول والتّشبّث بالحياة، خلافا للكبير الذّي ربّما حَمَلَ في عقله ووجدانه الكثير من الهموم، وبالتّالي قد يفضّلُ الموتَ على الحياة، حيث يجدُ الشّجاعةَ أولا،

ويعتقدُ، وهو مخطئ طبعا، أنّ الخلاص لم يعد متاحًا إلا عبر هذا الطّريق الموحش، وهو الخروج من مسرح الحياة.

وعندما نتّفقُ على أنّ الخوف مُكَوِّنٌ نفسيّ أساسيّ عند الطّفل؛ ندركُ أنّ الحديث عن طفل ينتحرُ أو تلميذ يحرقُ نفسه، كما حدث في بلادنا هذه الأيّام، ظاهرة تستحقّ الوقوف والتّأمل، وتحتاجُ إلى ساعات من (الصّمت) وليس دقيقة واحدة حدادا على هذا الطّفل أو ذلك التّلميذ..

نحتاجُ إلى صمتٍ وتفكيرٍ طويل رغم صخب الانتخابات، وأصوات هذا العدد الضّخم من المرشّحين والأحزاب.

إنّ حبّ فلذات الأكباد والحرص على أمنهم ومستقبلهم غريزة تسكنُ قلوب الآباء والأمّهات، ونلمسها تطبيقاتٍ عمليةً من خلال الكدّ لتوفير السّكن المناسب والطّعام الملائم واللّباس ووسائل العلم والمعرفة، وهي حاجات أساسيّة لا غنى عنها..

لكنّ (الحاجة الماسّة) التّي يفتقدها الكثير من أطفالنا وأشبالنا هذه السنوات، وهذه الأيّام بالتّحديد، هي الشّعور بالأمان النّفسيّ والتّخلّص من أكوام المشاعر السّلبية الغاضبة التّي تسقط على عقولهم وأفئدتهم الطريّة في محيط الأسرة والشّارع وحتّى المدرسة، ومن بعض الفضائيات النّاشئة التّي تطلّ علينا بساعات وساعات

من جرعات اليأس والقنوط والسّواد المطلق، ولا ندري ما مبرّر ذلك سوى أنّ هذا هو حالنا وواقعنا، وكأنّ قَدَرَ المواطن الجزائريّ أن يشتكي دائما ويبدي سخطه وغضبه على كلّ شيء حتّى نفسه التّي بين جنبيْه..!!

(هَذِي مْشْ بْلَادْ).. عبارةٌ سمعتها من طفل في أحد شوارع العاصمة، ويبدو أنه في المرحلة المتوسّطة، إن لم يكن في الطّور الابتدائي أصلا..!!!

من أين جاءته هذه العبارة، وهل وصل إلى مرحلة النّضج التّي تؤهّله للحكم على البلاد والعباد..؟؟

إنّ مظهره الخارجيّ ولباسه يُوحي بأنّه من أسرة ميسورة، أو عادية على الأقلّ، وهكذا فالرّاجح أنّ كثرة سماع مثل هذه العبارات هي التّي دفعته إلى التّقليد والتّرديد.

وإن خفّفنا من الأمر وقلنا إنّه مجرّد كلام، فإنّ له انعكاساته السّلبية على أداء وتفكير هذا الطّفل، وحتّى محيط لَعِبِهِ ومدرسته.

إنّنا على أبواب حملة انتخابية تاريخية، وإذا كان السّباق حول البرامج والوعود مشروعا، فإنّ الواجب الوطنيّ والدينيّ يفرضُ على جميع المرشّحين سباقا من نوع آخر يتمثّل في القدرة على ضخّ كميات

هائلة من التّفاؤل والأمل خلال التّجمّعات واللّقاءات الانتخابية، ومن ثمّ محاربة أبواق صناعة اليأس والقنوط.

إنّ بلادنا بخير وعافية أيّها السّادة رغم ما نسمع ونقرأ عن نهب المال العام ومحاكمات وقصص عجيبة، وممارسات إدارية متخلّفة، وأكثر من ذلك تلك الأحاديث المقزّزة عن بعض سماسرة الانتخابات وكيف اشتروا مكان الصّدارة في القوائم دون حياء من الله أو النّاس..!!

طبيعةُ الحياة هكذا حيث الصّراع الأبديّ بين الخير والشرّ.. لكنّ المشكلةَ في أولئك الذّين يجتهدون لتصوير دنيا الجزائر لَيْلًا لَا أَمَلَ في نهار بعده على الإطلاق..!!

أراد رجلٌ أن يبيع بيته لينتقل إلى بيت أفضل فذهب إلى أحد أصدقائه، وهو صاحب أعمال وخبير في التّسويق، وطلب منه المساعدة في كتابة إعلان لبيع البيت..

ولأنّ الخبير يعرفُ البيت جيداً من خلال علاقته الوثيقة بمالكه، فقد كَتَبَ وَصْفاً مفصّلاً له أشاد فيه بالموقع الجميل والمساحة الكبيرة والتّصميم الهندسيّ الرّائع، ثم تحدّث عن الحديقة وحوض السّباحة والمكان المخصّص للسّيارات وبقية مميّزات المنزل.

وعندما انتهى الخبير من تصميم الإعلان سلّم نسخة منه لصديقه، صاحب المنزل، وعندما قرأ الأخير كلمات الإعلان، وتأمّلها باهتمام شديد وغاص في تلك الميزات، توجّه إلى صديقه الخبير وقال له: أرجوك أَعِدْ قراءة الإعلان عليّ..

وحين أكمل الكاتبُ القراءةَ صاح الرّجل:

كم هو رائع.. لقد قضيتُ عمري أحلم بامتلاك مثل هذا البيت الجميل، ولم أكن أعلم أنّني أعيشُ فيه إلى أن سمعتك تَصِفُه بما كَتَبْتَهُ في الإعلان..

ثمّ ابتسم قائلاً: من فضلك لا تنشر الإعلان.. بيتي غير معروض للبيع...!!!

إنّها حالتنا في الجزائر عندما ننظر إلى أنفسنا دائما بعين السّخط، ولا نحسن التّأمل فيما أعطانا الله من نعم وقدرات وميزات تؤهّلنا للمضيّ قُدُمًا على طريق تحقيق النّجاح والرّيادة والازدهار والرّخاء داخل حدود بلادنا، وحتّى خارجها.

2012-04-14

آسِفْ.. لَا غَيْر

نظامٌ جديدٌ في محطّة الحافلات الوطنيّة بالجزائر العاصمة... عندما تدخلُ بسيّارتك تجدُ على يسارك جهازا كُتبت عليه تعليمات واضحة.. تضغطُ على الزرّ فتخرجُ بطاقةُ الدّخول، تلتقطُها ثمّ تنطلقُ باحثًا عن مكان لسيّارتك، ولا حاجة، كالسّابق، لانتظار العامل حتّى يسّجل رقم السّيارة ويسلّمك البطاقة بعد أن تدفع أجرة الحظيرة مُقَدّمًا، وبقيمة ثابتة سواء مكثتَ ساعات طويلة أو دقائق معدودة.

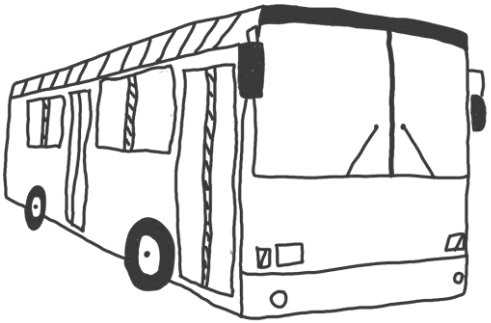

بعد أن تقضي ما جئتَ من أجله تبدأُ رحلة المغادرة من بوّابة أخرى، وهناك ستجدُ نقطة أمن، أو خدمة، تطلبُ منك البطاقة التّي سلّمك إياها الجهاز الجديد، ويحسبُ الموظّفُ الجالسُ أمام الكمبيوتر القيمة وتدفعُ ما عليك ثمّ تغادر..

قبل ذلك كان الأمر مختلفا، فبعد أن تدفع القيمة الثّابتة في البداية لن يسأل عنك أحدٌ وهكذا لا تجد في الغالب من يدقّق عند الخروج، وإن كان صاحب السّيارة يملكُ البطاقة التّي دخل بها أم لا..؟

عموما نباركُ لمحطّة (الخَرُّوبَة) أَيَّ تقدّم في خدمة الزّبائن، ونتمنّى أن تكون التّحديثات والتّجديدات دائما وفق رؤية إستراتيجية، وإيمان راسخ بضرورة خدمة المواطن، لا مجرّد أجهزة نستوردها ونحاكي بها ما عند الآخرين..

أقولُ هذا الكلام لأنّ تجربتي الأولى مع هذا الجهاز الجديد لم تكن مريحة، فبعد أن دخلتُ وقضيتُ أقلّ من نصف ساعة؛ وجدتُ المكان، الضيّق نسبيا، يعجُّ بالسّيّارات المتّجهة نحو المَخْرَج الوحيد، ومع هذه السّيارات تصطفّ الحافلاتُ لتخرج تِبَاعًا من القسم المخصّص لها وتتّجه إلى مواقف الرّكوب..

موقف صعب للغاية.. سيارات وحافلات تتنافسُ على الخروج.. وحرارة ورطوبة نهاية شهر أُوت.. وشخصٌ واحدٌ أمام البّوابة يستلم البطاقة ثمّ النّقود من السّائق، لينفتح الحاجز آليا..!!!

السّيارةُ التي تَلِي سيّارتي تقودها سيّدة.. ومعها أطفالها وبينهم رضيع.. حاول صاحبُ حافلة استعطافها لتترك له المجال حتّى يمرّ قبلها.. اعتذرتْ بالرّضيع، ومع ذلك أَحْرَجَهَا بتوسّلاته حتّى وافقت..!!

تعذيبٌ نفسيٌّ وبدنيٌّ وتضييعٌ للوقت وإجهادٌ للسّيارة.. وعند يصلُ دورك تدفع مبلغا ماليا..!!

لم أصبر على هذا فقلتُ للرّجل القائم على عملية الخروج:

والله كثير.. تعذيبٌ وتأخيرٌ ثمّ تأخذون النّقود من النّاس.. لأجل ماذا..؟

ردّ الرّجل باحترام: الأمر ليس في أيدينا..

قلتُ له: أقدّرُ ذلك، لكن بلّغوا ذلك للمدير العام أو المسؤول المباشر عليكم.

هذا النّظام الجديد خطوة طيّبة.. لكنّه يحتاج إلى بوّابات متعدّدة وحظيرة أوسع.. ولعلّه يناسبُ الحظيرةَ الجديدةَ التّي يُقال إنّها قيد

الإنجاز لتكون في أطراف العاصمة وتخفّف الضّغط الكبير على وسط المدينة.. والدّور بعد ذلك على الميناء لتتقلّص حركته إلى الحدّ الأدنى أو يتجّه نحو الخدمات السّياحية.. لتعود الحياة إلى مدينة الجزائر التّاريخية التي تخفي أمجادا وأحداثا في كلّ زاوية وحجر.

خرجتُ من حظيرة الخرّوبة ورحتُ أتحدّثُ مع نفسي: أين المرونة وأين الحكمة وأين احترام المواطن...؟؟

سأفترضُ أنّ الأمر كان مفاجئا، وأنّ خَلَلًا ما أحدث هذا الازدحام.. فهل يُعقلُ أن تطلب مؤسّسةٌ محترمةٌ أجرةً من المواطن بعد أن أَخّرَتْهُ عن مواعيده وأحرقت أعصابه وأرهقت سيارته وعذّبته في شمس منتصف النّهار..؟؟!!

وأقلّ من ذلك وأسهل.. ماذا لو كانت هناك لوحة جاهزة، سواء إلكترونية ضوئية.. أو تقليدية من قماش أو لوح.. يُخْرِجُهَا الموظّفون في الوقت المناسب.. تقول:

معذرة عن هذا الإزعاج.. أو التّأخير.. الخارج عن إرادتنا..

المُؤَكَّد أنّ المواطن سيشعرُ ببعض الارتياح والامتنان.

طرقات تتأخّر فيها الأشغال، وحُفر خطيرة تظلّ مفتوحة فترة طويلة من الزّمن.. وممرّات يتمّ إغلاقها فجأة ودون سابق إنذار..

ومع ذلك لا نجدُ من يتنازل عن كبريائه ويكتبُ كلمةً طيّبةً للمواطن: معذرة عن هذا الإزعاج الخارج عن إرادتنا.. وإن كنّا نعلم أحيانا أنّه ضمن إطار الإرادة من خلال التّسويف والاستهتار وتقديم المصالح الخاصة على العامّة..

لقد بدأها وزير الأشغال العمومية عمّار غول في سنواته الأولى، وظهرت الاعتذارات في أماكن الأشغال.. لكنّها اختفت أو تناقصت على الأقلّ.

خرجتُ من (الحرّوبة) غاضبا متألّما، لِأَسْتَقْبِلَ بعد ذلك مكالمةً من زميل قَدِمَ من ولاية صحراويّة سعيًا وراء شهادات ميلاد أولاده المسجّلين في القسم القنصليّ بوزارة الخارجية.. وَصَلْنَا إلى البيت فراح يقصّ عليّ فصول مأساة أخرى.

كلام عن ضيق المكان والكراسي المحدودة العدد.. حضور قبل السّادسة صباحا حيث تسجيل الأسماء على ورقة ليتمّ الدّخول أولا بأوّل.. ثمّ الانتظار المملّ في الدّاخل..!!

صاحبي وصل عند السّادسة وحصل على الشّهادات في حدود الثّانية عشر والنّصف..!!!

رَوَى لي أنّ أحد المواطنين حضر عند الخامسة، وبعد الحادية عشر والنّصف حصل على الشّهادات، فخرج فرحا مسرورا يشكر هؤلاء الموظّفين (الأبطال) على ما أنجزوه، ورفع يده بالأوراق مناديا:

يعطيكم الصّحة..

فعلا إنه إنجاز عظيم أن تقطع مئات الكيلومترات في طرقات خطيرة لتحصل على وثائق يمكن تحويلها عبر البريد أو الإنترنت أو تخزينها في وسائط إلكترونية وتعميمها على الإدارات في طول البلاد وعرضها...!!!

عَلّقَ ضَيْفِي على مثل هذه المواقف بقصّة طريفة:

عصابةٌ سَلَبَتْ أموال شخص.. سَلَبَتْ كلّ شيء حتّى الملابس.. ثمّ الملابس الدّاخلية.. فلما وصل الأمر إلى هذا الحدّ احتجّ الرّجل، وقال: غير معقول..

قال اللّصوص: ذاك هو رئيس العصابة فتظلّم أمامه..

وفعلا عَقَدَ الرّئيس محكمةً فقرّرتْ إعادة الملابس الدّاخلية لصاحبها..

فغادر الرّجل وهو يردّد: يحيى العدل..!!!

يا سادة.. إن لم تتمكّنوا من خدمة المواطنين على الوجه المطلوب فلا أقلّ من الاعتذار والكلمة الطّيّبة..

كلمةُ آسف مكتوبة أو منطوقة لا غير..

يقول الشّاعر العربيّ:

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَال... فَلْيَصْدُقِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ يَصْدُقِ الْحَال.

2013-09-01

الفهرس

الموضوع	الصّفحة
إِهْدَاء	05
مُقَدِّمَة	07
اَلْمِحْوَرُ الْأَوَّل: مَقَالَاتٌ عَلَى ضِفَافِ الإِعْلَام	15
اَلْخَطْفُ فُوبْيَا	17
الشَّعْبُ هُوَ الْحَكَمُ الْوَحِيد	23
نَحْوَ الصَّحَافَةِ الصَّفْرَاء..!!	28
قِمَّةُ الْعَظَمَة	34
خَيْرُ الْأُمُورُ أَوْسَطُهَا	40
رَفْعُ حَالَةِ الْغِشَاوَة	46
التِّلِفزْيُون لَيْسَ جَمْعِيَّةً خَيْرِيَّة	52
اَلْغَائِبُ الْأَكْبَر	58
اَلْمِحْوَرُ الثَّانِي: مَقَالَاتٌ عَلَى ضِفَافِ الثَّقَافَة (1)	65
نَحْوَ سِيَاقَةِ التَّرْفِيهِ وَالْمُتْعَة	67
اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ بَعِيدًا عَنَّا	73
حتّى لا نَحْصُدَ الزَّوَابِع	79

دَعُونَا نَحُسَّهُ دُونَ أَنْ نَرَاه	85
وَاجِبُنَا نَحْوَ سَقْفِنَا الْأَخْلَاقِيّ	91
لَا صَوْتَ يَعْلُو فَوْقَ صَوْتِ الْمَعْرَكَة	97
الْقَابِلِيَّةُ لِلْفَسَادِ وَالظُّلْم	103
الْفَسَادُ.. مَأْسَاةٌ نَصْنَعُهَا بِأَيْدِينَا	109
تَصَوَّرْ أَنَّهُ ابْنُك	115
الْمِحْوَرُ الثَّالِث: مَقَالَاتٌ عَلَى ضِفَافِ الثَّقَافَة (2)	121
بَعْدَ نِصْفِ قَرْن.. أَلَا نُغَادِرُ الْهَوَان..؟؟	123
نَحْوَ الْقَطِيعَةِ مَعَ سَنَوَاتِ الْجَفَافِ اللَّفْظِيّ	129
إِرْحَمُوا الشَّبَابَ فِي شَهْرِ الرَّحْمَة	135
الشَّرْعِيَّةُ الْكُرَوِيَّة	141
اللَّهُمَّ انْصُرْهُمْ فِي مُبَارَاةِ الْقَاهِرَة	147
الاسْتِقْلَال.. وَالسِّيَادَةُ اللُّغَوِيّة	153
الْقَابِلِيَّةُ لِلْكَسَلِ وَالنَّصْبِ وَالْاحْتِيَال..!!	159
بَيْتِي لَيْسَ لِلْبَيْع	165
آسِفْ.. لَا غَيْر	171
الْفَهْرَس	179

صَدَرَ لِلْمُؤَلِّف

- قَضَايَا وَطَنِيَّة.. مَقَالَاتٌ على حَوَافَّ الاقْتِصَاد
- قَضَايَا وَطَنِيَّة.. مَقَالَاتٌ فِي السِّيَاسَة
- قَضَايَا وَطَنِيَّة.. مَقَالَاتٌ فِي الثَّوْرَةِ وَالذَّاكِرَة
- قَضَايَا عَرَبِيَّة
- قَضَايَا دَوْلِيَّة
- قَضَايَا سُوفِيَّة
- 2010 خَوَاطِرُ سِيَاسِيَّة
- دَنْدَنَاتٌ ثَوْرِيَّة
- اَلْفِرْعُونِيَّة.. تَجَلِّيَاتٌ مُعَاصِرَة
- دَنْدَنَاتٌ دِيمُقْرَاطِيَّةٌ لِغَدٍ مُشْرِق
- ذِكْرَيَاتٌ وَمَوَاقِفُ مِنْ بِلَادِ الْعَجَم
- التَّنْمِيَةُ الْبَشَرِيَّةُ الذَّاتِيَّةُ NLP فِي الْجَزَائِر
- وَمَضَاتٌ تَنْمَوِيَّة
- مِنْ أَرْوَعِ الْقِصَصِ فِي التَّحْفِيزِ وَالتَّغْيِيرِ وَالسَّعَادَةِ وَالنَّجَاح
- دَنْدَنَاتٌ فِي الإِحْسَاسِ وَالتَّفَاؤُلِ وَالتَّغْيِيرِ

Innocent Skirmishes

National Affairs

Essays Along the Shores of Media and Culture

By

Tahir Amara Ladghem

SAMI

Printing & Publishing & Distributing

EL-OUED, ALGERIA

First edition

2025 AD / 1447 AH

قضايا وطَنيّة

مقالات على ضفاف الاعلام والثقافة

National Affairs

Essays Along the Shores of Media and Culture

Tahir Amara Ladghem

الإعلامُ أشهرُ من أن يُحدّدَ أو يُعرّفَ، لكنّ مصطلحَ الثّقافةِ مُتعَدّدُ المفاهيم، ومن ثمّ وَجَبَ التّأكيدُ على أنّ المقصودَ في سياقِ هذه المقالاتِ هو خلاصةُ أحاديثِ المفكّرِ الجزائريّ الرّاحلِ مَالِكْ بِنْ نَبِي، رحمه الله، حول الثّقافة..

وبشكل أكثر تحديدا.. تلك العبارة التّي وَرَدَتْ خلال حديثه عن الثّقافة في ثنايا كتابه (شُرُوطُ النّهْضَة)، وهي أنّ الثّقافةَ نظريّةٌ في السّلوكِ أكثر من أن تكون نظريّةً في المعرفة..

ISBN: 978-9969-608-02-1

9 789969 608021

سامي للطباعة والنشر والتوزيع